رسائل آسيا

رواية

هبة محمد كامل

رسائل آسيا (رواية)

الخازندار للنشر الالكتروني

****

العنوان :جوار مدرسة اللواء رفعت عاشور الثانوية- ميت سلسيل- الدقهلية
هاتف : ٠١٠٠٠٠٩٩٣٩٠

العنوان: رسائل آسيا
الكاتب:هبة محمد كامل
تدقيق لغوي: أ/الاء أحمد الأشقر
اخراج فني: الخازندار للنشر الالكتروني

جميع حقوق النشر الالكتروني محفوظة للكاتب/ة تحت اشراف موقع الخازندار للنشر الالكتروني، و غير مسموح بنقله أو مشاركته أو نشره الكترونيا دون اذن مكتوب من الكاتب

الخازندار

رسائل آسيا

رواية

هبة محمد كامل

يبعث لنا الله برسائل على هيئة ومضات، قد ينتبه لها البعض، وقد يغفل عنها البعض، وهي رسائل ربانية تهدف إلى تصحيح مسار معين أو الاتجاه إلى أخر، فمن استوعبها سار على الدرب الصحيح، ونجا على الصراط، ومن أضاعها ضل الطريق، وسقط في الهاوية.

وما أدراك ما هي نار حامية!

هبه محمد كامل

الفصل الأول

يدخل سامح المكتب، فيجد آسيا قد سبقته، فهي دائماً تأتي مبكراً؛ الالتزام بالوقت من أساسيات حياتها، يحيها تحية الصباح؛ فترد عليه بابتسامتها المعهودة، والتي شجعته أن يبدي إعجابه بطلتها المشرقة، وملابسها التي تبدو له مثيرة بالمقارنة بزوجته الجالسة بالمنزل دائماً كما يشكو بملابس المنزل، ورائحة الطعام تفوح منها، وهي كما يبدو مقارنة غير عادلة

يحضر باقي الزملاء والزميلات بالمكتب؛ وتبدأ حركة العمل، فكانت تعمل بوزارة الثقافة بقسم الترجمة، حيث يقوم القسم بترجمة بعض الكتب من اللغات المختلفة إلى اللغة العربية، وتنشرها وزارة الثقافة بعد المراجعة.

ظل سامح يلقي نظراته إلى آسيا وسط غمزات وهمزات زميلاتها بين الحين والأخر، وهي لا تهتم كثيراً بذلك، فالجميع ينظرون إليها، فثقتها بنفسها الظاهرة للجميع تجعلها تشعر إنها ملكة بينهم، أو كفراشة تتنقل بين الأزهار.

حتى علي زميلها بالمكتب لم يستطيع أن يبعد تفكيره عنها، وهو الشخص الملتزم المحترم؛ الذي يغض بصره عن أي امرأه يخاطبها في العمل أو خارجه وكذلك آسيا، ولكنه يشعر بحنين وجاذبية إليها، فيصلها هذا الشعور بسهولة ويسر، فعندما تسأله عن شيء يخص العمل، أو أحياناً سؤال يحيرها في الدين، فتهتدي برأيه، فتكون كلماته ممزوجة بالحنان والرأفة بها، فكان في بعض الأوقات يساعدها في العمل، ويقوم هو بالمهمة بدلاً منها، فكانت تبتسم في داخلها، وكانت تشعر باحساسه تجاهها

فكانت لشخصيتها جاذبية غريبة، فتتعامل بعبقرية شخصيتها مع كل أنواع البشر وخاصةً الذكور، فتحاول دائماً أن تدرك مِفتاح الرجل الذي أمامها وتتعامل معه، فتدرك بذكائها وفطنتها أن لكل رجل نقطة ضعف تستطيع أن تنفذ منها إلى قلبه وعقله، لم يقتصر هذا على زملائها في المكتب، ولكن يمتد إلى أي شخص تتعامل معه، فعندما تذهب إلى أي قسم أخر بالوزارة؛ لإنهاء أي إجراءات، كان الجميع يحاولون دائماً تقديم المساعدة لها في بهجة وسرور.

كانت آسيا جميلة الوجه والجسد أيضاً، فكانت خمرية البشرة، متوسطة الطول والحجم، ذات عيون بنية، وملامح متناسقة من إبداع الخالق، ترتدي غطاءً للرأس مع ملابس ضيقة تظهر ملامح جسدها الرشيق،.تنتمي إلى الطبقة فوق المتوسطة، تخرجت من كلية الآداب قسم اللغة الإنجليزية، عملت بأماكن مختلفة لفترات قصيرة قبل التحاقها بالعمل بوزارة الثقافة.

بعد انتهاء ساعات العمل أخذت آسيا سيارتها، وذهبت إلى وسط البلد؛ لتمر على بعض المحلات، ربما تشتري قطعة ملابس أو لا، ولكنها كانت تحب أن تمر؛ لتستعيد ذكرياتها أيام الجامعة، فكانت تشعر بسعادة بالغة، وكأنها تعود بالزمن مرة أخرى للوراء.

ثم جلست في أحد مطاعم البيتزا بعد أن شعرت بالتعب والجوع، وجلست في الجزء الخاص بالمدخنين، وعندما أوضح لها النادل أن هذا الجزء من المطعم للمدخنين ابتسمت، وأخرجت من حقيبتها علبة سجائر، فرد لها النادل الابتسامة، وقدم لها قائمة الطعام، فاشعلت سيجارته، وطلبت البيتزا، وكانت تجلس دائماً في أي مطعم عند الجزء الزجاجي، الذي تشاهد من خلاله المارة في الشارع، وجلست تتابع حركة المارة مع أنفاس سيجارتها حتى أحضر لها النادل البيتزا المطلوبة، فطلبت منه مياه غازية؛ لتتناولها مع البيتزا، وبعد الانتهاء من الطعام شعرت

أنها ترغب في النوم بشدة، فسألت النادل عن وجود قهوة، فأجابها إنها متوفرة، فطلبت قهوة مضبوطة، واشعلت سيجارة أخرى، وشعرت بعد احتساء القهوة إنها بدأت تستعيد نشاطها من جديد، فسددت الفاتورة.

وغادرت المطعم ملوحة بيدها للنادل، الذي ابتسم بعد أن تركت له باقي الفاتورة؛ فشعر بالسعادة، فنادراً ما يمر عليه فتاة لطيفة مثلها، ربما يكون هذا سبباً في استقرار حالتة المزاجية باقي اليوم، فأحيانا يمر عليه أشخاص يجعلونه في حالة مزاجية سيئة من أسلوبهم الفظ في التعامل، وعدم ترك أي جنيه من الباقي، بل يبحثون عن القروش المتبقية ويطلبونها، وأحياناً يرفعون أصواتهم عليه، ويتسببون في مجازاته دون سببٍ.

عادت آسيا إلى المنزل، فكانت والدتها جالسة أمام التلفاز، فسلمت عليها، وسألتها الأم عن سبب تأخرها، فحكيت لها ما فعلت، فنهرتها أمها؛ لإنها أعدت لها الطعام وانتظرتها، وفي النهاية ذهبت إلى مطعم، فغضبت آسيا من والدتها، وذهبت إلى غرفتها.

الفصل الثاني

دار أمام عينيها شريط من الأحداث، فذهبت إلى الطفلة الصغيرة ذات الخمسة أعوام، وهي تبكي حين قالت لها أمها :أنتِ لستِ ابنتي، ووجدناكِ عند باب المسجد ؛ فظلت تبكي وتصرخ؛ معلنةً عن رغبتها في الذهاب إلى أمها الحقيقية، وكانت خُدعة من أمها؛ لاستفزازها كلما قامت بإزعاجها، أو عندما تلعب فتجد بعض التدمير والخسائر في المنزل، وسط ضحكات الأم والموجودين على رد فعل الابنة من البكاء والصراخ، فأحياناً كانت تصدق ما تقوله الأم عندما كانت تنهرها، أو تضربها على كل خطأ تعتقد بعقلها الطفولي أنه بسيط بالرغم من اعتراف الأم بعد فترة إنها تمزح معها؛ فتهدأ آسيا قليلاً

- ولم تخلو طفولتها من المشاكل مع أمها بالرغم من وجود والدها دائماً، لكن عمله كان يجعله خارج المنزل معظم اليوم؛ مما جعل كل الاحتكاك مع والدتها، كانت مثل كل الأطفال قد تكسر شيئاً أو تفعل خطأً، ولكن رد فعل الأم كان بالنسبة لها مبالغ فيه، وعندما تهدأ الأم تخبرها أن ذلك العقاب حتى تتعلم لا تخطئ مرة أخرى، لم تأتي هذه الطريقة في التربية بثمارها المرجوة، فكيف لطفل أن يكف عن ارتكاب الخطأ تماماً؟!، الذي هو من وجهة نظره ليس بخطأ.

وظلت المواقف تنبعث من الماضي أمام عينيها حتى جاءها صوت الهاتف؛ ليقطع حبل أفكارها، ويعيدها إلى الحاضر.كان المتصل ماجد ، فردت مسرعةً بعد أن جففت عينيها من الدموع المنسابة كالشلال

-أهلاً ماجد، اشتقت إليكَ كثيراً.

-أنا أيضاً اشتقت إليكِ حبيبتي.

-أود أن أقول لكِ شيئاً هاماً.

-كلِ أذان مُصغية.

-أنا أحبكِ، و"ضحك بصوت مرتفع" قائلاً: متى سأراكِ أيتها المجنونة؟

-مجنونة؛ لإني أحب مثلكَ.

واتفقا على أن يتقابلا غداً بعد أن حكيت له عن يومها، وما دار فيه من أحداث، وفعل هو كذلك.

وقفت آسيا تهذب مظهرها أمام المرآة في غرفتها؛ استعداداً لمقابلة ماجد، فكانت الساعة السابعة مساءً، فكان عليها أن تغادر المنزل فوراً؛ حتى لا تتأخر عن موعدها، فهي لا تحب التأخر عن موعدها أبداً كما علمها والدها الأستاذ فهمي معلم الرياضيات، فكان دائماً حريصاً على مواعيده، وكان يعاقبها عند التأخر عن موعد حدده لها للعودة إلى المنزل مهما كانت الظروف، ومع تكرار ذلك أصبحت آسيا أكثر التزماً ممن حولها بمواعيدها، وكذلك بوعودها، فلم تخلف وعداً قطعته على نفسها أبداً، فكانت تفكر جيداً قبل أن توعد أي إنسان، وتسأل نفسه: هل ستستطيع الوفاء به أم لا؟

وصلت آسيا قبل وصول ماجد ببعض الوقت، فحرصها على المواعيد؛ جعلها تتذمر ممن حولها الذين لا يعبئون بأهمية الوقت، وبرغم توترها من تأخره إلا إن قلبها كان تتلاحق دقاته كأنه في سباق؛ متلهفةً للقاء حبيبها. تشعر ببرودة تمتد من

أطراف أصابعها لتصل إلى جسدها، لا تغرب عينيها لحظة عن الباب.

اقتحمت وجهها ابتسامة عندما دلف ماجد من الباب متوجهاً إليه، فسلمت عليه، وقبّلته كما كانوا معتادينِ، وملأت الابتسامة وجهه الممتلئ ذو الشارب الأسود، الذي تفضله آسيا في الشباب، ويروق لها، وجلس أمامها يتأملها. فقد مرت عدة أيام لم يستطع رؤيتها، فلم يعتادا على المقابلات بشكل يومي مثل المكالمات اليومية، ولكن عندما تكون الفرصة متاحة لكليهما، وأحياناً يفاجئها عند خروجها من العمل، فينتظرها في مكان قريب، ويتصل بها؛ ليخبرها بانتظارها، وكانت تفرح بهذه المفاجأة كالطفلة الصغيرة.

تحدث معها عن شوقه إليها، الذي لم ينقطع منذ أخر مرة تقابلا، وانتظار موعدها فور انتهاء المكالمة التي أخبرته فيها بميعاد اللقاء، ثم طلب فنجانين من القهوة، وظلا صامتينِ برهة، فالكلام ليس أبلغ من المشاعر، فقلبيهما يعزفا لحن بدقات قلبيهما معاً، وكأنه الكونشيرتو.

فنظرات عيونهما كانت تبث الشوق والحب والعشق عبر الأثير، وكانت يدها بين يديه، وكأن حنان العالم كله يكمن بين يديه، قطعت آسيا الصمت عندما نظرت إلى يد ماجد ، وكان باطن يده شديد الأحمرار، فسألته: أمازال هذا الأحمرار الوردي يصبغ كفكَ؟، فسحب يده برفق إلى شفتيها فقبّلته، فضحك ماجد، وقد فسر لها من قبل أن هذا؛ بسبب زيادة نسبة الهيموجلوبين في الدم، ولم تهتم آسيا بذلك، ولم تبحث عن صحة المعلومة لدى صديقها الصدوق جوجل.

مر الوقت سريعاً، وقاربت عقارب الساعة على العاشرة مساءً، وعليها الآنَ ترك أجمل لحظات حياتها، التي تمضيها مع ماجد؛ حتى لا تتأخر، فقد أصبحت كبيرة على العقاب، الذي سينالها من والدها إذا تأخرت، كما قالت لماجد عندما ترجاها للبقاء معه بعض الوقت

الفصل الثالث

وصلت آسيا إلى العمل، فوجدت زميلاتيها سارة ومنى اللتين حضرا قبلها اليوم يتهامسان معاً، وعندما دخلت الحجرة توقفا عن الكلام، وظنت بفطنتها إنهما يتحدثان عنها، فابتسمت وجلست على مكتبها تعبث ببعض الأوراق التي أمامها، ولم يكن سامح أو علي قد حضرا.

غادرت آسيا المكتب إلى إدارة العلاقات العامة، وقابلت سليم، وقد نشأت بينهما علاقة صداقة قوية من بداية عملها بالوزارة، كانت تجلس معه في الأوقات المختلفة في مكتبه، وأحياناً يجلسان معاً في الكافيهات المجاورة للوزارة، فكان دائماً يفضل الحديث معها لما لديها من رحابة صدر وأُذْن سامعة له في بعض الأوقات، فتنصحه ويقتنع بكلامها في أوقات أخرى، وأحيانا يثور عليها، ولا يأخذ بنصيحتها، وكان لسليم بعض التصرفات الصبيانية المراهقة، حيث كان يمسك يدها وهما جالسان؛ زيادةً في التودد إليها، وكان يحكي لها عن مغامراته النسائية قبل الزواج، ومشاكله مع زوجته من بداية الزواج

وقد أخذ رأى آسيا في العروسة التي رشحتها له والدته، فشجعته على الموافقة، وعددت له محاسنها، فلم تكن تعرفها جيداً، ولكنها كانت تعرف إحدى قريباتها معرفة سطحية، وبعد موافقة والدته تمت الخِطبة، التي حضرتها آسيا بالتأكيد، وتعرفت على زوجته، وتمت خطوات الزواج حتى النهاية.

ثم بدأت المشاكل الزوجية، وبدأت شكوى سليم لآسيا، حتى أنه كان يؤنبها على تشجيعه على هذا الزواج، ويلومها على نصحها له، وكانت هي بدورها تضحك في كل مرة يذكر فيها ذلك.

تعالت ضحكاتها اليوم عندما أخبرها بما حدث بينه وبين زوجته الليلة الماضية، فبعد أن انتهوا من علاقتهما الحميمية دب بينهما شجار عنيف قبل حتى أن يغادرا فراشهما.

وقد ملأت ضحكاتها المكان حتى دخل على صوتها حاتم عبد العزيز، فكان زميل لهما بإدارة الترجمة، وكانت بينهما علاقة عاطفية استمرت لفترة طويلة، وبعد عدة مشاكل تم الانفصال، وقرر أن ينتقل إلى إدارة أخرى؛ حتى لا تظل أمامه طوال الوقت، فقد أحبها حباً جماً، ولكن بعد الخلافات التي نشبت بينهما قررت هي الانفصال بالرغم من رفضه لهذا القرار، ومحاولاته العديدة لاستمرار العلاقة، وبدخول حاتم بنظراته المحبة لها، ولومه غير المصرح لها عن صوت ضحكاتها العالية؛ سكتت فجأة، وبادرته بالسؤال عن أحواله كما هو معتاد بين أي زميلينِ، فكانت ردوده طبيعية، ولكنها تختلف عن نظراته الحارة، التي تحمل حب وشوق لازالا موجودين بالرغم من زواجه منذ فترة واستقرار حياته، ولكن الحب الأول دائماً يترك شيئاً في القلب لا يمحوه الزمن، فكان كلما رأها تذكر أيامهما الخوالي وحبهما المشتعل .

تركتهما آسيا، وعادت إلى مكتبها، فكان علي قد حضر كعادته متأخراً، فوقفت عند مكتبه تتحدث معه، وتناديه سارة؛ ليأخذ بعض الأوراق منها، ثم جلست آسيا على مكتبها، وبدأت عملها في صمت.

كانت آسيا على موعد مع ماجد بعد الانتهاء من العمل، فاستقلت سيارتها إلى المكان الذي ستقابل فيه ماجد، وطلب منها أن يتناولا الطعام معاً. واتصلت بوالدتها هذه المرة، وأخبرتها أن لديها عمل اليوم، ولن تستطيع مغادرة الوزارة قبل الانتهاء منه؛ حتى تتجنب المشاحنات في هذا اليوم.

وصلت إلى المطعم الذي اختاره ماجد، وكما هي العادة حضرت قبله في المطعم، ولم تجد مكاناً بجوار النافذة كما كانت تفضل دائماً منذ طفولتها، فجلست على طاولة في وسط المطعم بشكل مؤقت إلى أن يأتي ماجد. وحتى لا تتوتر؛ لتأخر ماجد عليها، أخرجت من حقيبتها كتاب عبارة عن مجموعة ملخصة لقصص شكسبير باللغة الإنجليزية، وبدأت في قراءته .

كانت آسيا تهوى القراءة منذ نعومة أظافرها كما علمها والدها، فبدأ معها بقراءة الجرائد اليومية "العناوين الرئيسية" فقط، وبعد ما أتقنتها انتقل إلى الصفحات الداخلية، فكان مثل جميع المصريين في ذلك الوقت يشتري أربعة جرائد يومياً "الجرائد الحكومية الرسمية الثلاثة "الأخبار -الأهرام –الجمهورية"، بالإضافة إلى جريدة الوفد المعارضة .

بدأت آسيا تشق طريقها بعد ذلك في عالم القراءة بدايةً من قصص الأطفال، التي كانت تحصل عليها كمكافأة على أي عمل جيد تقوم به؛ فيقدمها لها والدها وأحياناً أحد المدرسين بالمدرسة، وفي الإجازه الصيفية كانت تحرص على اقتناء القصص من مصروفها الخاص.

وتنقلت بين القصص والمجلات المخصصة للأطفال مثل :ميكي وسمير، وماجد، وسلسلة المغامرون الخمسة، ورجل المستحيل، وفي مرحلة متقدمة بدأت تعبث في مكتبة والدها بين روايات (أجاثا كريستي)، و(ألفريد هتشكوك)، و(أرسين لوبين)، وذهبت إلى المعارض المختلفة، واقتنت العديد من الروايات بدايةً من روايات إحسان عبد القدوس، التي قرأت منها عدد كبير إلى روايات نجيب محفوظ، وبطبيعة دراستها للغة الإنجليزية والأدب الإنجليزي قرأت ودرست الروايات الإنجليزية غير المترجمة .

ومع وصول ماجد المطعم لمحت آسيا طاولة بجوار النافذه؛ فانتقلت إليها على الفور مع قدوم ماجد، الذي سلم عليها، وقبّلها بحرارة وشوق، ولم تستطع أن تمنع نفسها من سؤاله عن سبب تأخيره، فتعلل لها بازدحام الطريق، وحاولت تصديقه مثل كل مرة، وطلبت من النادل بيكاتا، وطلب ماجد ميكس جريل المعتاد، فعلقت على ذلك :لم تمل من هذا الطبق، وتغيره يوماً ما.

قال :أنه أفضل طبق في المطعم .

قالت :إنه تقليدي جداً، ما هذا الملل!

هو :تركت لكِ الأطباق الأخرى حبيبتي.

وقبل أن تضع أول قطعة من الطعام في فمها أطعمته إياها؛ فبادلها هو أيضاً أول قطعة من طبقه، ولكنها كانت السابقة دائماً بكل فعل يخص علاقتهما. فهي صاحبة المبادرة الأولى، فتقدم له كل ما يتمناه، وتفضله حتى على نفسها، فحبها له تغلب على كل حب في حياتها حتى حبها لنفسها، فلم تعشق غيره، فكانت في كل لقاء تشعر بنفس احساس المقابلة الأولى، نفس دقات القلب وبرودة الأطراف والرعشة التي تسري في جسدها.

الفصل الرابع

أنهت آسيا لقائها مع ماجد، ووصلت إلى المنزل وقت الغروب تقريباً. وهي تدعو الله أن لا تصطدم مع والدتها على عاداتهما شبه اليومية، والتي تبدأ غالباً بعتاب من الأم بصوت مرتفع، وترد الابنة مدافعة عن نفسها بصوت مرتفع أيضاً، وتزداد الحدة تدريجياً ليصل إلى حد الصراخ، فتغضب آسيا، وتنسحب مع التفوه ببعض الكلمات، التي توضح بها غضبها، وتغلق عليها بابها، وكان هذا المشهد يتكرر بشكل مستمر خلال سنوات عمرها الكثيرة مع اختلاف الأسباب في كل مرة.

كانت آسيا في كل الأوقات تشعر إنها على حق، كما تشعر والدتها بذلك أيضاً دون استسلام من أحداهما، وفي وجود والدها كان يحاول دائماً أن يقلل من الصراع المحتد بينهما، فيطلب من آسيا أن تدخل حجرتها؛ ليفصل القوات قبل أن تكمل آسيا الخطوات المكررة في كل مرة حتى النهاية، فكانت ترضخ لكلامه في غضب.

وتحاول أن تخرج طاقة الغضب بداخلها بقذف أي شيء يقع أمامها، وصل بها الأمر وهي طفلة لا تتجاوز العاشرة من عمرها إلى التفكير في الانتحار؛ كي تتخلص من حياتها؛ معتقدةً إن والدتها ستموت؛ حزناً عليها، لكن حبها لنفسها كان ينتصر على شيطانها؛ فتتراجع.

دخلت إلى الشقة، فلم تجد أحداً بالمنزل؛ فشكرت ربها، ودخلت إلى غرفتها، وهي تحمل نشوة الحب اللذيذ مستمتعةً بذكريات مقابلتها اليوم مع ماجد. وقفت أمام المرآة؛ لتتأمل ملامحها التي تحبها، وتذكرت عندما كانت صغيرة وكل من يقابلها من أقاربها يخبرها إنها ليست في جمال والدتها؛ فكانت تحزن، وتغضب لدرجة إنها كرهت نفسها، فلماذا لم تكن جميلة حقاً مثل والدتها كما يقول

الناس؟!، وفي وقت مبكر وأثناء غياب والدتها عن المنزل كانت تستخدم أدوات التجميل الخاصة بها دون أن تشعر، ثم تمحو آثار الجريمة قبل عودتها، ومع كثرة النظر في المرآة شعرت إنها جميلة أيضاً، ولكن جمالها يختلف عن والدتها، فبدأت تحب ملامحها أكثر، وتبحث عن الجمال داخلها أيضاً؛ فزادت ثقتها بنفسها .

انتبهت لرنين الهاتف، وكان المتصل سليم، كانت ترغب في عدم الرد؛ لتستمتع بذكرياتها، ولكن مع الإلحاح في الاتصال؛ أجابت على اتصاله، وكان كعادته يشكو لها من زوجته، ثم سألها عن أخبار ماجد، فكان يعلم عنها كل شيء تقريباً، فطمئنته أنهما بخير وفي أحسن حال، وكان يحاول دائماً أن يشككها في ماجد، ويسألها لماذا لم يخطو نحو الزواج منها؟

وكانت تدافع عنه، وتخبره أن لديه ظروف تجعله يؤجل هذه الخطوة، ولكن هذه الأيام هي الأجمل دائماً، فالحب يخفت دائماً، ويفقد رونقه عندما تصبح العلاقة رسمية، وتدخل في إطار الزواج، وتبدأ الحياة المادية في التسلل، وإزاحة الرومانسية والحب والمشاعر الجياشة جانباً؛ مسيطرةً على المشهد ككل، فدعنا نعيش الحب وقتاً أطول يا سليم.

_تقولين ذلك بعد أن شجعتيني على الزواج، سامحكِ الله.

_ظروفكَ تختلف عني، فأنتَ لم تكن في حالة حب، بل كنت تائهاً في الحياة، وكان الأفضل لكَ الزواج؛ حتى تصل إلى الاستقرار.

_أنا لم استقر، ولكني سقطت في النار، وأعيش مأساة يومية، فأنا وزوجتي ليس بيننا أي تفاهم في أي شيء، حتى علاقتنا الحميمية لايشعر فيها أحدنا بالأخر، إنما هي مجرد علاقة روتينية.

ضحكت آسيا ضحكةً عاليةً، وقالت: ألم يكن أمامكَ فترة خطوبة تعرف خلالها مدى التقارب والتفاهم بينكما؟!

_كل من حولي أقنعوني إنه بعد الزواج سيتم التفاهم لامحالة، لكن خدعني الجميع، وبدخول والدها الغرفة فور عودته من الخارج؛ أنهت المكالمة مع سليم، وقامت؛ لتسلم على والدها، وتقبّله وسألته.

_أين كنتما؟

_ذهبنا عند خالكِ أنا ووالدتكِ، كان مريضاً.

_حقاً؟، ساتصل به أيضاً؛ لأطمئن عليه.

_خرجت من غرفتها، وسلمت على والدتها، فسألتها عن موعد عودتها من العمل.

آسيا :لم أتأخر كثيراً.

الأم :خالكِ مريض، عليكِ زيارته قريباً.

آسيا: ساتصل به.

آسيا: يجب أن تزوريه أيضاً، لا يكفي الاتصال.

آسيا: نعم، عندما أجد فرصة لذلك.

آسيا: ستستمري هكذا في حياتكِ.

آسيا: كيف؟!.

آسيا: ألن تتزوجي، ويصبح لديكِ أسرة وأولاد، يتقدم لخطبتكِ الكثير، ويتحدثون لوالدكِ.

قامت آسيا فوراً قبل أن ينقلب الحديث إلى شجار، واتصلت بخالها، واطمئنت عليه، ووعدته بالزيارة قريباً.

الفصل الخامس

عكفت آسيا على بعض الأوراق المطلوب ترجمتها اليوم، وعرض عليها علي المساعدة، ولكنها رفضت، فكان علي يساعدها أحياناً عندما يمتلئ مكتبها بالأوراق، فيأخذ منها البعض؛ مساعدةً لها ومشفقاً عليها، يحاول قدر المستطاع أن يخفف عنها.

فهو لا يفضل عمل المرأة، ويشفق عليها من الجهد، الذي تبذله خارج وداخل المنزل، فأحياناً لا تقوى على ذلك؛ فيكون التقصير مع الأولاد أحياناً، فدورها في المنزل أهم بكثير، فعملها يستطيع أن يقوم به الرجال، لكن أولادها لا يتحمل غيرها عناء تربيتهم وتقويمهم .

هذه كانت نظرية علي في عمل المرأة، وكذلك نظرية العديد من شيوخ الإسلام، ولكن ظروف الحياة الصعبة تحول دون تحقيق ذلك، وكانت تقتنع آسيا بهذه الفكرة وبكثير من أفكار علي، وتشعر دائماً بالراحة والسكينة بجواره؛ فوجوده يشعرها بالأمان، وعندما يغيب عن العمل؛ تكون متوترةً وقلقةً، وكأن هناك شيئاً هاماً مفقودٌ منها.

فقد كان يخرج للدعوة في سبيل الله، فيسافر إلى بلاد وقرى صغيرة وبعيدة. يحاول تبصير أهلها بتعاليم الله والدين، فيغيب عن العمل أيام طويلة، وكان يحكي لآسيا عن رحلته بعد العودة، وكيف أن هناك قرى مسلمة بأكملها لا تعرف الصلاة ولا الوضوء والكثير من أحكام الدين؟!، ويعتبر هذا تقصيراً من المسلمين، وأنه فرض كفاية على المسلمين، وذنب هؤلاء في رقبة المسلمين جميعاً، وما يقوم به هو وزملائه من مشقة السفر ونفقات يتحملونها؛ لرفع هذا البلاء والجهل بالدين هو

واجب، وكل مسلم يستطيع فعل ذلك.

استمرت آسيا بالعمل إلى وقتٍ متأخرٍ، واضطر الجميع إلى مغادرة المكتب في موعد الانصراف، وبقيت بمفردها، وقد شارفت على الانتهاء من عملها، دخل عليها حاتم، فوجدها بمفردها.

حاتم :لماذا لم تنصرفي حتى الآنَ؟.

آسيا :عندي بعض الأوراق أحاول الانتهاء منها.

حاتم: استطاع علي أن يتركِكِ، وتحمل نبراته شيئاً من التهكم، فنظرت إليه باستغراب؛ لذكر علي في الحوار، فاقترب منها حتى وقف بجوارها؛ فشعرت بالقلق، فسألته :هل تريد شيئاً؟، ليس لدي وقت للحديث، أرغب في الانتهاء من عملي.

حاتم :نعم، أريدكِ.

آسيا "بصوتٍ حادٍ وبنبرةٍ يملؤها الغضب": ماذا تقول؟!

حاتم: كما سمعتي تماماً، اشتقت إليكِ.

نظرت إليه، ولاتعلم بماذا تجيب عليه، وقبل أن تنطق أمسك بيدها، وجذبها بلطف؛ فوقفت وحاولت جذب يدها منه بعنف.

حاتم :لازلت أحبكِ، وأنتِ تعلمين ذلك جيداً.

آسيا :أرجوكَ لقد انتهى الأمر منذ زمن بعيد، ولا أرغب في الحديث عنه.

لكنه جذبها بعنف تجاهه، واقترب وجهها من وجهه؛ فما كانت إلا قبّلة عنيفة، وكأنه يغتصب حقه، الذي ضاع منه منذ سنوات، ولم تستطع هي الفرار من بين

يديه، ولم تشعر كم من الوقت مر عليهما ربما لحظة أو لحظات، حاول فيها أن يروي ظمأه من شفتيها، ثم تركها، وغادر دون أن ينطق بحرف واحد.

ظلت هي في مكانها تحاول أن تجمع شتات نفسها، وكأنها غابت عن الوعي للحظات، وعندما فاقت أخذت حقيبتها، وأسرعت في مغادرة المكتب، ولا تعلم كيف وصلت إلى سيارته، جلست ووضعت المِفتاح بالسيارة، ولم تستطع أن تتحرك، فكيف حدث ذلك؟، ولماذا لم أمنعه؟، وهل كنت منتظرة هذه القبّلة التي أعادتها إلى الماضي؟!، أم إنها اتصدمت، وأفقدتها الصدمة القدرة على التصرف المناسب.

أمضت دقائق طويلة في التفكير، هل فعلاً حاتم لازال يحبها رغم زواجه وإنجابه؟!، أم إنها محاولة يحاول بها الأخذ بثأره منها؛ لإنهائها العلاقة التي كانت بينهما بعد تعرفها على ماجد، ووجدت معه ضالتها المنشودة؛ فضحت بحبها لحاتم وحبه لها، وشعرت وقتها أن حبها الحقيقي هوماجد، فظلت لفترة تجمع بين الاثنين في قلبها، تترك ماجد؛ لتقابل حاتم، وتجلس معه والعكس، وكانت دائماً تعقد المقارنات بينهما في كل تصرف، ولكنها في النهاية كانت ترجح كفة ماجد، الذي ملك عقلها وقلبها.

ولأن طبيعة المرأة مختلفة عن طبيعة الرجل، فيستطيع الرجل أن يجمع بين امرأتين في قلبٍ واحدٍ، قد يعدل بينهما أو لا يعدل، لكن في الحقيقة ليس هناك رجل يستطيع أن يعدل بين امرأتين، ولكن المرأة يصعب عليها الاحتفاظ برجلين في وقتٍ واحدٍ، حتى ولو كانت من بنات الهوى، فقد يملك جسدها العديد من الرجال، بينما يملك قلبها رجل واحد .

وصلت إلى المنزل، ولم ترغب في الحديث مع أحد، وعرضت عليها والدته أن تعد لها الطعام، فرفضت؛ معللةً ذلك بتعبها، ورغبتها في النوم.

دخلت حجرتها، ومرت أمامها ذكريات علاقتها بحاتم، وكيف كان شديد الرومانسية معها، فكان يفرح للقائها بالرغم من وجود خلافات بينهما، ولكن كانت الخلافات أكبر من الحب.

أغلقت هاتفها، وارتمت على فراشها دون حتى أن تبدل ثيابها، وجرت الأفكار في عقلها حتى ذهبت إلى عالم النوم؛ هاربةً من عالم اليقظة.

الفصل السادس

ففي منتصف اليوم.وجدت آسيا نفسها بمفردها بالمكتب، فقد استأذنت كلا من سارة ومنى معاً؛ ليقوما ببعض الأمور الخاصة بهما، فهما صديقتان حميمتان منذ أن حضرت آسيا إلى المكتب، لكن لم تستطع أن تصادقهما، فلم تتوافق طباعها معهما؛ فتتجنب التداخل معهما، فأصبحت علاقتهم لا تتعدى متطلبات العمل والمجاملات البسيطة، في حين إنها كانت مرتبطة أكثر بكلا من سامح وعلي.

تجولت ببصرها في فراغ الغرفة، فكان سامح يجلس أيضاً على مكتبه، وبعد الانتهاء من الورقة التي كانت بين يديه اقترب منها، وجلس إلى جوارها، وعرض عليها أن يجلسا معاً في مكان قريب بعد العمل، فرفضت فحاول أن يبثها حبه وشوقه إليها؛ منتهزاً فرصة انفرادهما، فنظرت إليه في حدة رافضة ما يحاول أن يقوم به؛ محاولةً إيقافه عن ما بدأ به، لكن لم يهتدي.

فسألها "مستجدياً عطفها" :لماذا لا تبادلني نفس الشعور؟

آسيا :أنتَ زميلي، وبيننا الكثير من التفاهم.

سامح :لكني أشعر بحبكِ يتوغل في قلبي، وتشغلين بالي طوال الوقت.

آسيا :هذه ليست مسؤليتي، لكَ زوجة يجب أن تشغل بالكَ بها أفضل.

سامح: أتصدقيني إن قلت لكِ إنني أحياناً أناديها باسمكِ؟

آسيا "ضاحكة": وتركتكَ على قيد الحياة!

سامح: وقتها أحاول إقناعها بأي قصة مختلقة، ويمر الموضوع بسلام.

آسيا: تعلم جيداً إني مرتبطة، ولا استطيع أن أفكر في غيره.

سامح :أكرهه برغم عدم رؤيتي له، إني أتشوق؛ لأضمك لصدري مرة واحدة فقط، أنا لا أطمع في أكثر من ذلك.

ضحكت آسيا ضحكتها العالية المعهودة، والتي تثيره أكثر مما هو عليه، وتغادر المكتب؛ تاركةً إياه في حالة من الشوق الملتهب.

اتصلت بماجد الذي رد عليها فوراً، فسألته عن أحواله، وطلبت منه أن يتقابلا اليوم، فاعتذر لها؛ لوجود اجتماع هام لديه، ولم يعرف به إلا منذ وقت قليل، ولا يستطيع الاعتذار، تفهمت آسيا الموقف، وأنهت الاتصال ببعض القبّلات اللاسلكية.

غادرت العمل وهي لا تريد الذهاب إلى المنزل، وتفكر في كلام سامح، وتتشوق لمقابلة ماجد، فقررت الذهاب إلى صديقتها المقربة لها إسراء، فقادت سيارتها، وقد حددت هدفها تريد أن تتحدث، وتخرج ما في صدرها لصديقتها دون تكلف، فإسراء كانت زميلتها في الجامعة، وكانتا مقربتين إلى بعضهما.

تزوجت ولم تعمل إلا بضع شهور، ثم فضلت البقاء في المنزل مع أولادها وزوجها، وكانت آسيا رفيقتها في كل خطوات حياتها بدايةً من حبها لهشام، الذي كان زميل لهما أيضاً حتى إتمام الخِطبة.

فكانت أحياناً تخرج معهما في فترة الخطوبة كعزول، ولكن ذلك لم يضايق أحدهما، لكن كانا يرحبان بها معهما حتى خطوة الزواج، وحضرت معها ولادتها الأولى لشهد ، ولم تستطيع حتى تركها في ولادتها الثانية لشريف، وكانت أحياناً تخرج مع هشام بمفردهما في حالة وجود مشكلة في سيارتها، فيذهب معها لحل هذه المشاكل ..

في المرة الأخيرة التي خرجت معه، ركبت سيارته بعد أن تركت سيارتها للإصلاح، وكان ذلك منذ أكثر من شهر، وقد شعرت بنظرات إعجابه لها، ولكنها كذبت حدثها، الذي يكون صادقاً دائماً في هذه الامور، حيت تقع نظرة الإعجاب بها على قلبها كالصاعقة؛ فترتجف لها، وتشعر بها حتى ولو كان شاباً مر بها مروراً عابراً.

شعرت بيده تمتد إليها في قلق، فجذبتها في هدوء، وأوهمت نفسها أنه لا يقصد، ولكنه أصر على ذلك، وصرح لها بإعجابه بها، فأصرت أن يوقف السيارة فوراً، وغادرت في سيارة أجرة إلى المنزل، ومن وقتها لم تزور صديقتها، وبعدما تذكرت ذلك ترددت في الصعود إلى إسراء، ولكنها قررت المواجهة، أو ربما هذا موقف عابر لن يتكرر.

فتح هشام الباب، وسلم عليها بحرارة غير معهودة بينهما، فسألته عن إسراء في توجس، فأخبرها إنها موجودة، فنادتها وهي عند الباب بصوت مرتفع، فردت عليها :أنا في المطبخ يا آسيا، دخلت على الفور، وعاتبتها إسراء على تأخرها في زيارتها تلك الفترة، فبررت لها موقفها بانشغالها في العمل.

آسيا :أين شهد وشريف؟، وحشوني جداً، نادت عليهما، فلبيا النداء سريعاً، وسلما عليها وقبّلتهما، وسألتهما عن أخبارهما، فقد أصبحت شهد في السابعة، بينما شريف في الخامسة.

خرجت إسراء من المطبخ مع آسيا، وبينما كانت آسيا تحكي لها قدمت لها كوباً من العصير، واستأذنت منها لدقائق، ودخلت غرفتها؛ لتغير ملابسها المليئة برائحة الطعم والمطبخ، وكان هشام جالساً معها.

نظر لها هشام هذه النظرات الغريبة ذاتها، ثم قال لها :منذ أخر مرة لم تحضري، اشتقت إليكِ، نظرت له باستغراب واستنكار لحديثه قائلةً: ماذا تقول يا هشام؟،

أنتَ في وعيكَ.

قال: نعم، أشعر بالشوق إليكِ.

قالت: أتدري ما تفعله الانَ؟، إن لم تكف عن عبثكَ هذا سأغادر ولن أعود أبداً، وستكون السبب في فقدني أعز صديقاتي لمجرد نزوة ليس لها معنى تفرق بيني وبين إسراء.

قال: اهدائِ قليلاً، لما هذا التوتر؟.

قالت :أرجو أن لا تكون السبب في انفصالي عن إسراء، تعقل بعض الشيء.

خرجت إسراء لتوها؛ فانقطع الحديث، وجلست معهما، فانسحب هشام وعلامات الهزيمة تعلو وجهه، وغادر المنزل، وجلست آسيا معها، ولم تخبرها عما بدر من زوجها، وتبادلا الأحاديث المختلفة، فتحكي لها إسراء عن الملل الزوجي، الذي أصبحا فيه برغم قصة الحب الطويلة التي بينهما، فأعطتها آسيا من خبرتها بعض النصائح؛ لتجديد هذا الحب، فالحب كالنبتة الصغيرة علينا أن نمدها بالماء والهواء الجيد؛ حتى ينمو.

فيجب عليها أن تعطي لزوجها بعض الوقت، ولا تنشغل دوماً بالأولاد والمطبخ وأمور المنزل كما تجري العادة بعد الزواج، لم تقتنع تماماً بما تقوله لها آسيا، فقد تربت في نفس البيئة، وشاهدت والدتها لا تهتم إلا بالمنزل والمطبخ والأولاد، وهم عملها، ويجب أن تكون الأمور في المنزل على خير ما يرام، حتى ولو كانت الزوجة في أشد حالات التعب أو الاكتئاب، إن هذا لا يعني شيء، ولا يهتم به أحد.

أما علاقتها بزوجها كعلاقة خاصة خارج هذا النطاق، فهي علاقة ثانوية مجرد رفاهية من وجهة نظر عدد كبير من السيدات في المجتمع المصرى. في حين أن

الزوج يرغب في أن تكون الزوجة في أتم استعداد للعلاقة الحميمية نفسياً وجسدياً في أي وقت يحتاج هو إلى ذلك، ولا يعنيه كل ما سبق، إنها الأنانية الذكورية في مجتمعنا، وفي نفس الوقت لا يسمح لها بالتقصير في شئون المنزل والطعام والأولاد.

إنها إذنَ المرأة الخارقة التي تستطيع عمل كل الأشياء، وصدقت هي هذه الأكذوبة، التي خدعها بها الرجل؛ فتحملت ما لا تستطيع، وتحدت الحياة رغم قدرتها البدنية والنفسية والعصبية، التي لا تتحمل أن تحقق كل هذا في نفس الوقت بقدرة عالية، لكن كل ذلك على حساب نفسها.

وليس هذا إمكانيات المرأة، وأنا أقولها بكل ثقة فهي تستطيع، نعم، تستطيع أن تفعل كل ذلك، ولكن بدرجات متفاوتة، فهناك أولويات مختلفة عند كل امرأة، فتهتم أكثر وتبدع في جزئية، وتقوم بالحد الأدنى في جزئية أخرى، فتسطيع بذلك إرضاء مشاعرها ورغباتها، وترضي من حولها في نفس الوقت.

وعلى الرجل أن يقتنع بذلك، وعلى الزوجين في بداية الحياة الزوجية يكونوا أكثر صراحة، فيعرض كل منهما أولوياته على الأخر من أجل الوصول إلى نقطة مشتركة لبداية علاقة أبدية على أسس وقواعد سليمة؛ حتى لا نصل إلى حالات الانفصال غير المبرر غالباً.

تركت آسيا صديقتها إسراء بعد أن كررت لها ضرورة الاهتمام بهشام وطلباته الذكورية، وأن تحاول تذكر الأيام الخوالي بينهما للحصول على المشاعر المطلوبة، واسترجاعها من الذاكرة؛ فيفيض عليهما نهر الحب، ويشعرون بالسعادة المفقودة.

الفصل السابع

تقابلت مع ماجد اليوم، وطلب منها أن يغادرا المكان، ويذهبا إلى شقته، فقد اشتاق إليها بجنون، فرفضت ولكنه ألح عليها، وكاد أن يقبّل قدميها أمام الناس، وكانت تشعر بنفس الاشتياق وأكثر، ورغم ذلك تظاهرت بعدم الاكتراث، ثم وافقت على رغبته، لم تكن المرة الأولى التي تقابله في شقته، ولكنه حدث أكثر من مرة على فترات متباعدة.

استقل كل منهم سيارته، وكانت آسيا مستمتعةً بأغنية عمرو دياب تملي معاك، وتغني معها، ويرقص قلبها على الألحان حتى وصلت إلى منزل ماجد، فأوقفت السيارة في شارع خلفي، وصعدت قبله، وكانت تحمل مِفتاحاً للشقة، وتركت له الباب مفتوحاً قليلاً حتى صعد بعدها بعدة دقائق، فدخل مسرعاً، وكانت العمارة التي يسكن بها في منطقة راقية وقديمة بمصر الجديدة، قد ورثها عن والديه بأثاثها القديم، الذي لم يحاول تغير أي شيء فيه.

أمضت آسيا بعض الوقت تتجول بالشقة؛ متذكرةً أحداث ومواقف مختلفة، وتذكر بها ماجد الذي دخل المطبخ؛ ليعد مشروباً لهما، فدخلت خلفه، وأحاطت به من الخلف وقبّلته؛ فشعر برجفة سرت في جسده.

انتهى من إعداد الشاي بالنعناع ليس كما يحب أن يشربه، وجلسا معاً في الصالة، وقامت آسيا من مقعدها، وجلست فوق رجليه كطفلة صغيرة، وقد وضعت رأسها على صدره.

قال :منذ زمن لم نجلس هكذا.

قالت"بعد أن ضحكت بصوت مرتفع": أتتذكر المرة الأخيرة؟

قال :أنا أعيش على هذه الذكريات كل يوم، وأشم رائحتكِ في كل ركن بالمنزل، أتذكركِ في كل لحظة، أنا أعيش بكِ، وبدونكِ لا حياة لي.

ابتسمت آسيا في خجل، وقامت من جلستها، فتشبث بيدها وقبّلها.

قال :ألازلتي تخجلين من كلامي؟

قالت : نعم، إن هذا يدل على مشاعري البكر دائماً نحوكَ، فمعكَ دائماً أشعر إنني في سن المراهقة، ومشاعري لم تزل مغلفة ببكارتها، وكأن الزمن لم يؤذيها يوماً أو يحطمها.

قال :مشاعركِ فقط؟، وجذبها ليقبّلها، فهربت من بين يديه؛ فهَمَّ ورائها، فوصلا إلى غرفة النوم، فقبّلها قبّلة عشق تمنت أن تستمر باقي العمر، وأغمضت عينيها، فكانت الأزهار بعبيرها الفواح والعصافير بألحانها الشجية، لا تدري كم من العمر مضى!، وأعقبها تسلل يديه إليها؛ فأصبحت بين أحضانه، التي تمنتها وتحلم بها كل ليلة، وعطره القوي الجذاب يسيطر على المشهد؛ فيدغدغ أحاسيسها، فتذوب أكثر وأكثر بين أحضانه؛ فتشعر بالدفء، فتخبئ رأسها بين ثنايا جسده، الذي يحتويها وتحتويه هي أيضاً، فيعطي كلا منهما إلى الأخر كل ما يستطيع في نشوة وحب، وبعد أن أفضى كل منهما إلى الأخر كل ما في جعبته، ظلا معاً في حلمها الجميل.

قال: أتعلمين إني أحبكِ جداً؟

قالت: أنا أيضاً.

قال :عندما يرغب الرجل في امرأة للمتعة فقط؛ يتركها بعد أن يقضي حاجته منها،

ويبعد عنها بجسده، ولكني أرغب في ضمكِ أكثر بعد الانتهاء إلى حضني.

قالت :وأنا أرغب دائماً في المزيد.

وقاما بعدها للاغتسال، وعند ارتدائها ملابسها جذبها مرة أخرى إليه، وحاولت الإفلات من قبضته، ولكنها لم تفلح، ولم تستطيع الإفلات من الرغبة الملحة داخلها؛ فانساقت ورائها.

عادت إلى منزلها، ولا تعرف كيف وصلت؟، وأي طريق سلكت؟، فكانت النشوة رفيقتها في الطريق، لم تهتم بأحد في المنزل، فهي في حالة سعادة، وترغب في الاستمرار والاستمتاع بهذا الشعور لأطول فترة ممكنة، غاصت بين وسائدها، والتحفت بغطائها كالمسحورة، لا يشغل تفكيرها شيء إلا ما مرت به منذ قليل، فتستعيد احساسها به حتى دخلت في سبات عميق.

استيقظت في الصباح على صوت الهاتف، واسم ماجد على الشاشة، فردت في دلال امرأة يوم الصباحية.

قال: صباح السعادة والجمال.

قالت :صباح الحب.

قال :لم استطيع النوم الليلة، فكنتِ معي طوال الليل.

قالت: وماذا كنت أفعل؟

قال: ألا تدرين؟!، لقد أنهكتني حباً.

ضحكت كغانية في مخدعها.

قال :لا أتحمل ذلك ارحميني، فضحكت ثانياً.

قال: إن لم تكفِ عن هذه الضحكة، سأحضر إليكِ حالاً؛ لأحصل عليكِ.

قالت :هيا إذن، إن كنت تستطيع.

قال :أتمني.

أنهت المكالمة المثيرة مع ماجد، وقد كانت يوماً وهي صغيرة تعيش مع أحلامها في أن تصبح غانية أو بنت ليل أو ماشابه، حقاً، كانت تستهويها الفكرة، فهناك عدة شخصيات داخلها، لكن تطفو الأقوى على السطح، ويختفي الباقي في الداخل.

قامت آسيا بشخصيتها القوية إلى عملها في كسل، ترغب أن تمضي يومها بين وسائدها، ولكنها تعلم إن والدها لن يتركها، وسينهرها إن غابت عن العمل، فهو يقدس العمل، ودائماً يدفعها إليه، ولا يتهاون معها، فالكسل والتعب وربما المرض أيضاً ليس سبباً مقنعاً بالنسبة له للغياب عن العمل. ووالدتها أيضاً لن تتركها، فستدعوها إلى المشاركة في أعمال المنزل السخيفة والمملة، فليس أمامها إلا أن تفر إلى عملها، وتترك الكسل هنا في انتظارها حتى العودة.

قابلتها مني فور وصولها إلى المكتب، وهي متعجبة من حالتها.

منى :شكلكِ مختلف اليوم!.

آسيا: كيف؟!

منى :وجهكِ أكثر هدوءاً، وابتسامتكِ تبدو صافيةً، هناك شيء غريبٌ.

تشعر آسيا إنها فعلاً سعيدة ومنتشية، ولكن لا تدرك أن ذلك الشعور واضحاً على

وجهها.

سامح: ما هذا الإشراق!، عيناكِ تبدوان لامعتانِ، ووجهكِ مشرقٌ.

تضحك آسيا :فعلاً!، أترى ذلك؟!

سامح :كيف أنتِ؟، هكذا تبهريني بجمالكِ.

آسيا :لن أقول لكَ سري، هاهاها.

تجلس إلى مكتبها، ولكن لا ترغب في العمل، تعبث في الأوراق أمامها وعلى وجهها ابتسامة، يدخل حاتم إلى المكتب، ويسأل سارة عن شيء يخص العمل، ولكن عيناه عند آسيا، فتحدثه سارة، وتنظر معه إلى حيث ينظر، بينما آسيا في ملكوت أخر، لا تشعر بهما.

ترك حاتم سارة متجهاً إلى آسيا، ولازالت سارة تكمل حديثها معه، بينما هو يلقي تحية الصباح على آسيا، ويبدأ معها حوار.

حاتم :كيف حالكِ؟

آسيا: من فضلك لا أرغب في الحديث معكَ، وكأن حضور حاتم أيقظها من حلمها، الذي كانت تعيش معه.

حاتم "بصوت منخفض يشبه الهمس": أرجو أن تسامحيني، واعذرينى فكلما رأيتكِ أشعر بحنيني إليكِ وإلى حبي لكِ.

آسيا : أمر لا يعنيني، تستطيع الابتعاد عني.

حاتم: كلا، لا استطيع .

تقف آسيا متعصبة، وتغادر المكتب، وتذهب إلى مكتب سليم؛ حتى ينتهي وجود حاتم من مكتبها،.وتغير وجهها المشرق في لحظة، واستبدل بعلامات الغضب.

سليم: ماذا بكِ يا حبيبتي ؟

آسيا :حاتم.

سليم :ألازال يطاردكِ؟

آسيا :نعم.

سليم :ألتمس له العذر، فمن يعرفكِ لا يستطيع التنازل عنكِ بسهولة.

آسيا: الأمر لا ينقصكَ، اطلب لي قهوة.

سليم : القمر يأمر، وأنا أنفذ.

طلب لها قهوة، وأمضت معه بعض الوقت، وسألته عن أخبار زوجته، وهي متوقعة الإجابة، ولكنها تتحدث في أي شيء؛ حتى تخرج من الحالة التي أصبحت فيها.

الفصل الثامن

اتصل ماجد بها اليوم أكثر من مرة؛ ليبث شوقه وغرامه إليها، اعتادت منه فترات من الركود، وفترات من الصحوة في حبهما، ولا تؤثر تلك الانتقالات في حبها له، فعندما يكون مشغولاً،فيأخذه العمل منها بعض الوقت، لكن يعود إليها مكبلاً بأشواقه الجارفة كالعاصفة، ولم تستطيع يوماً أن تغضب منه، تثور عليه أحياناً في موقف ما، ولكنها لا تحاول أن تفقده، وهو بهدوء أعصابه يمتص غضبها، ويوضح لها موقفه، وهي تصدقه على الفور، حتى وإن كان حديثه غيرمنطقي، لاتبحث وراءه؛ فكان يسحرها بكلماته الغزلية وصدق مشاعره تجاهها؛ طالباً منها موعداً غرامياً، فبرغم علاقاته السابقة قبلها، لكن يشعر معها بشعور مختلفة، لم يكن الأجمل ولا الأكثر احترافاً في ممارسة الحب، ودائماً كان يلقي على سمعها أغنية (علي الحجار).

أنتِ طلعتيلي منين_____ودخلت حياتي إزاي

في عينكِ حنان وحنين___وفي صوتكِ بحة نااي

طيبتكِ خليتني صالحت___الزمن الكداب النساي

وفتحت بيبان للفرحة___الجاية في العمر الجاي

وعند وجودها معه في سيارته، تكون هذه الأغنية أول ما يختاره؛ لتستمع إليها، فيشعر أحياناً إنها والدته، التي تحرص عليه، وتهتم بتفاصيل حياته،.ويشعر أحياناً أخرى إنها عشيقته، التي تعطيه ما يحلم به من مشاعر وإكسير الحياة بداخله؛ مما يروي ظمأه، الذي لا ينتهي أبداً، أو ابنته الصغيرة التي يحبها، ويحميها

ويحدثها، ويروي لها الحكايات،.فكانت كثيراً ما تنقلب جَلْسَتهما إلى حلقة حوارية تاريخية أو جغرافية محفوفة بالحب.

فربما تجلس فوق رجليه وهو يقص لها، وإن لم يسمح المكان بذلك تضع يدها الصغيرة كالعصفورة بين يديه، وتترك أُذنيها تسمع وتستمتع، لبت آسيا رغبته الملحة، فنهلوا معاً من بحر الغرام والشوق، ولم يكتفوا .

هيهات هيهات___ليت الزمن يقف هنا.

غادرته آسيا في عشق ووَجْد، ولا ترغب في أن تري غيره، ولا تسمع غيره، فتظل صورته أمام عينيها، وكلماته في أُذنيها، دخلت حجرتها، وأغلقت بابها في حالة عزف منفرد لمشاعرها.

في اليوم التالي أخبرتها والدتها أن والدها يريد التحدث معها؛ سألتها عن السبب، تظاهرت بعدم المعرفة، ووعدتها آسيا بعد عودتها من العمل ستجلس معه، تشتاق آسيا دائماً إلى الجلوس مع والدها منذ كانت طفلة صغيرة، ولم تساعدها الظروف كثيراً للحصول على هذه المتعة، كانت تنظر إليه دائماً كأحد نجوم السينما، تقول لصديقاتها أحيانا أنه يشبه (محمود يس)، وفي وقت أخر تراه يشبه (حسين فهمي).وهكذا، عمله الدائم الدؤب كان يقف حاجزاً بينهما، ولكن وقتما تسمح الفرصة للقائهما كانت تتعلم منه الكثير، وعند وجود مشكلة كبيرة لديها؛ كانت تلجأ إليه، فهي تثق برأيه، فيساعدها بالإرشاد والتفكير في الحلول.

كان حديث والدها اليوم بخصوص عريس جديد، وقبل أن يصف ويشرح شعرت باختناق، وحاولت الإفلات منه، لكنها لم تستطيع، فتلمح الأم هناك تتلصص عليهما؛ فتفهم إنها صاحبة الاقتراح، وقد رغبت أن يحدثها والدها؛ لإنها مقربة منه أكثر، ومع إلحاح الأب طلبت آسيا مهلة للتفكير.

لماذا لم تخبرهم بأمر ماجد ؟؛ حتى تنتهي تلك الحوارات السخيفة، فهي تكره هذه الطريقة، فكيف يحضر رجل من أجل الزواج من امرأه لا يعرفها؟!، وربما حتى لم يشاهدها من قبل، ويقولون دائماً سيتم التعارف، فيجمل كلا منهما نفسه؛ ليعجب الطرف الأخر، وربما يعجبها ولا تعجبه؛ فتصدم في مشاعرها، التي لم تبدأ بعد.

أخبرت ماجد عما جرى؛ لتطلب منه المعونة، فيعدها أنه سيتدبر الأمر قائلاً: لا تقلقي.

أخبرت سليم عندما قابلته في العمل في اليوم التالي.

فسألها :هل وافقتي؟

هي :لم أعطي قراري بعد، ولكني سأرفض.

هو: من أجل ماجد.

هي :أكيد.

هو :ماجد لن يفعل شيء، صدقيني.

هي :أنتَ متحامل عليه دائماً، تتركه حاملةً حيرتها إلى مكتبها، فوجدت علي أمامها، فابتسمت وسعدت؛ لوجوده، وسألته: ماذا تفعل؟.

_أترجم بعض الأوراق المطلوبة.

جلست إلى جواره، فلم يرفع بصره إليها كما هي عادته وسنته في غض البصر، لكن عطرها النفاذ توغل إلى قلبه، فظهرت على وجهه ابتسامة، شعرت بها في داخلها، فهي لا تجهل مثل هذه الاشياء، فهي الخبيرة في عالم الرجال، فسألته :أترغب في أي

مساعده؟، فكم من مرات ساعدتني فيها!

-جزاكِ الله خيراً، ويتوقف عن عمله، وكأن قربها منه حرك مشاعر داخله يحاول إخفائها.

آسيا: أريد أخذ رأيكَ في موضوع يشغلني.

هو: تفضلي.

آسيا: جاءني عريس بالأمس.

هو : مبروك "ويتمتم بصوت خفيض سمعته بصعوبة": كنت أتمنى!، تبتسم آسيا، وقد ضمت إلى انتصاراتها على الرجال جولة جديدة، فكانت تراهن نفسها على قدرتها في جذب أي رجل لها، حتى وإن كان علي.

آسيا : أنا لم أوافق بعد، لا أرغب في هذه الطريقة للزواج، حدثها علي عن الزواج في عهد الصحابة، وكيف أن الرسول (صلى الله عليه وسلم) أوصى بزواج الثيب قبل العذراء، وكانت المعلومة جديدة بالنسبة لها.

هي :لماذا؟.

هو: إن الثيب هي من سبق لها الزواج، فقد جربت الزواج، وربما لا تحب إعادة التجربة، فمن كمال فكر الرسول (صلى الله عليه وسلم) أنه يعلم أن من تزوجت قد حدث لها تغيرات بالهرمونات الخاصة بالنساء؛ فيصعب عليها أن تكمل حياتها بدون زواج، فكان(صلى الله عليه وسلم) بعد الغزوات يطلب من الصحابة أن يتزوجوا ممن استشهد زوجها في الغزوة بعد انتهاء العدة الشرعية.

فهذه السيدة(أسماء بنت عميس) زوجة جعفر بن أبي طالب وتزوجت بعد

استشهاده أبو بكر الصديق، وبعد وفاته تزوجت من علي بن أبي طالب رضي الله عنهم جميعاً.

بدخول سامح هادم اللذات ومفرق الجماعات كما كانت تطلق عليه نهي، عند مناقشته معها، وأنهى أيضاً متعة الاستماع إليه، وقد طلب منه سامح بعض الأوراق، فغادرت آسيا إلى مكتبها، وهي تفكر في كلام علي وكلام والدها، وتأتي أطياف ماجد في مخيلتها، فتعيش في ذكرياتها.

تقابلت مع ماجد مرات معدودة في الكافيه المفضل لهما، ولم ترد بعد على طلب والدها، وتمنت أن ينسى الأمر، أو أن العريس يعدل عن قراره بعد أن طلبت من والدها أن يملها وقتاً أطول في التفكير، ولكن والدتها كانت دائمة الإلحاح عليها؛ لتظفر بالموافقة، فكانت لا ترد عليها، ولا تتناقش معها؛ تجنباً للمشاحنات بينهما.

ذهبت اليوم إلى صديقتها إسراء في محاولة؛ لتفريغ ما يدور في عقلها، فهي الوحيده التي تعلم عنها كل شيء، وأثناء حديثها مع إسراء حضر هشام من الخارج، ومعه بعض الطعام للغداء مظهراً سعادته؛ لوجود آسيا.

هشام :آسيا ستتناولين معنا الغداء اليوم.

آسيا :لم أخبر والدتي.

هشام : يمكنكِ الاتصال بها الآنَ، لقد أحضرت الأسماك التي تفضلينها.

آسيا "وهي تستنكر كلامه" :وهل كنتَ تعلم بوجودي؟

هشام"غمز لها بعينه": نعم، أخبرتني إسراء فور وصولكِ.

"وجهت حديثها إلى إسراء" قائلةً: هل فعلتي ذلك حقاً؟

”ضحكت إسراء“ قائلةً :لم تزورينا منذ وقت طويل، واشتقت للطعام والحديث معكِ، فاتصلت بهشام وأخبرته.

اتصلت آسيا بوالدتها، وأخبرتها إنها عند إسراء، وتذكرت إن هذه كانت حجتها دائماً عندما تكون مع ماجد وستتأخر، فكانت والدتها تحب إسراء، ولا تمانع من وجود آسيا عندها.

يحاول هشام أن ينتهز الفرصة؛ ليلمس يدها، أو النظر في عينيها، وكأنه يحاول أن يعرف أثر تلك اللمسات الحائرة عليها، فكانت تنظر إليه في برود قاتل، ربما يخجل.

قامت إسراء إلى المطبخ؛ لتعد الشاي بعد أكلة السمك المحترمة، قامت معها آسيا، فمنعتها إسراء قائلةً: أنتِ ضيفتي اليوم، دعيني أقوم معكِ بواجب الضيافة، فلا تغادري مكانكِ، وسأحضر لكِ كل ما ترغبين فيه.

هشام :ما كل هذا الحب!، ليتكِ تعامليني مثلها!

تركتهما إسراء معاً، ودخلت إلى المطبخ، بينما الأولاد في غرفتهما، وانتقل هشام إلى جوارها، وحدثها بصوت منخفض.

_وحشتيني يا آسيا، لماذا لا تردي على اتصالاتي ؟

_أمازلتَ عند تفكيركَ المجنون، ألم أخبركَ أن هذا مستحيل؟

_لم استطيع أن أبعد تفكيري عنكِ.

_اعتبرها المرة الأخيرة التي أحضر فيها هنا، وسأقطع علاقتي بإسراء؛ حتى تهدأ.

_أرجوكِ لا تفعلي هذا، إسراء تعتبركِ أختها.

_إذنَ فلتكف عن مهاتراتكَ وتصرفاتكَ، وعندما أحضر أرجو أن لا تتواجد معي، وإلا أخبرت زوجتكَ بكل شيء.

غادر هشام المكان، ويملؤه شعور بالهزيمة والغضب بعد أن أحبطت آسيا كل محاولاته.

أنهت آسيا اليوم مع إسراء بعد أن شربت الشاي، وغادرت على الفور. ورغم شعورها بالنوم، الذي بدأ يتسلل إلى أجفانها بعد أكلة السمك، فاشعلت سيجارتها في السيارة، ربما تستطيع أن تفوق؛ حتى تصل إلى المنزل.

الفصل التاسع

يوقظها سامح ، بعد غالبها النعاس، فوضعت رأسها فوق أوراقها دون أن تشعر بعد حضورها مبكراً كعادتها، ففزعت؛ لوجوده بجوارها، ولمساته علي رأسها.

_هل أنتِ بخير ؟

_نعم، لا تقلق.

_أشعر إنكِ متعبة منذ أيام.

"_ردت عليه باستنكار" :قوة ملاحظة شديدة، والدتي بالمنزل لم تلاحظ ذلك!

تصل سارة إلى المكتب، وتلقي التحية، وتنظر إليهما باستغراب، ويحاول سامح إبعاد أي اتهام، أو ظن قد يتسلل لعقلها.

سامح :آسيا مرهقة قليلاً، أحاول الاطمئنان عليها.

سارة :يجب أن تأخذي إجازة.

تنظر إليها آسيا بامتنان، وتشكرها وتشكر سامح؛ لاهتمامهما بأمرها، وتشعر بحاجتها إلى فنجانٍ من القهوة يوقظها قليلاً؛ لتبدأ العمل.

انتهى اليوم، وعند مغادرتها مبنى الوزارة كان ماجد في انتظارها، فكان قلقاً عليها، وأصر عليها أن تترك سيارتها، وسيقوم هو بتوصيلها، فلم تمانع، وعرض عليها أن يذهبا إلى شقته؛ ليقضيا بعض الوقت أو لا، فلم يطيل عليها الإلحاح؛ نظراً لحالتها رغم اشتياقه إليها ورغبته فيها، ولكنه اكتفى بوجودها معه هذه المدة القصيرة إلى

أن تصل إلى منزلها.

تصل إلى غرفة نومها بصعوبة شديدة، وتخلد إلى النوم، ويحاول والدها الاطمئنان عليها، ويدعوها؛ لتناول الطعام معه، فغالباً لا يجتمع معهما على مائدة الطعام إلا في أيام الإجازات، فعندما يحضر والدها من العمل تكون والدتها انتهت من إعداد وجبة الغداء مبكراً، والتي تجمع بينها وبين وجبة الفطور؛ لاستيقاظها في وقت متأخر كل يوم.

لا تستطيع آسيا مقاومة دفء الفراش، ولكنها تتحامل على نفسها؛ حتى تلبي رغبة والدها، لاحظ والدها كثرة نومها، والكسل الذي أصابها مؤخراً، فحاول الاستفسار منها، فبررت ذلك بأنه مجرد إرهاق في العمل، ولكن الأب طلب منها عدم الاستسلام لهذا الشعور بالكسل، ثم عاود سؤاله عن ردها في الموافقة على العريس المتقدم للزواج منها.

-أنا لا استطيع التفكير الآنَ، من الأفضل أن ننسى هذا الأمر.

-حاولت الهروب منه، ولكنه يلح في إتمام الارتباط، فكما تعلمين هو ابن أحد زملائي المقربين بالمدرسة.

_ألم يسبق له الزواج؟!، أنه يكبرني بعشرة أعوام.

_ألا تتذكرين ما حدثتكِ به من قبل؟، أنه متزوج بالفعل، ولم ينجب، وزوجته هي ابنة عمه، ولا يمكن طلاقها.

_"نظرت إليه في ضيق ونفور" قائلةً :من فضلك لا تزيد عن هذا، أنا لا أتحمل.

استأذنت من والدها؛ لتعود إلى فراشها، وقد اصطحبت معها إحدى روايات

(إحسان عبد القدوس)، ونسيت إنها امرأة، ونسيت إنها آسيا، وعاشت بين ثنايا الرواية حتى غالبها النوم.

_اقترحت عليها سارة في اليوم التالي أن تقوم بعمل تحاليل لصورة الدم، فربما ما تشعر به هو أعراض أنيميا.

شرحت للطبيب في المعمل عن الأعراض التي تشعر بها، فسحب منها عينة الدم؛ للقيام بعدة تحاليل، وستظهر النتيجة في اليوم التالي.

اتصلت بها إسراء؛ للاطمئنان عليها، فأخبرتها بإنها قامت بعمل تحاليل اليوم، فأصرت إسراء أن تذهب معها غداً عند الحصول على النتيجة، ثم تصحبها إلى طبيب من أقاربها؛ لعرض النتيجة عليه، فيدلها على العلاج المناسب، مرت عليها إسراء عند عملها، واصطحبتها إلى المعمل.

وكانت النتيجة صادمة

_حضرتكِ حامل، وهذا سَبَّب بعض الأنيميا.

نظرت آسيا إلى إسراء نظرة فزع لم يفهمها الطبيب، فقد ظن إنها ستكون سعيدة بهذا الخبر.

_حضرتكَ متأكد، ربما تكون عينة أخرى.

_أنا واثق من ذلك، ألف مبروك.

خرجت آسيا مسرعةً من المعمل، واستلمت إسراء التحاليل، ولحقت بها، وما أن جلست آسيا في السيارة حتى انهمرت دموعها بآسى شديد.

سألتها "إسراء على الفور "وفي صوتها نبرة تأنيب": متى قابلتي ماجد في الشقه؟

-ربما منذ شهر، وهي تبكي، وتشعر بغصة في قلبها.

كانت مشاعرها متخبطة، فإنها تحمل فعلاً طفلاً من الإنسان الوحيد الذي أحبته، ولكن.طفل غير شرعي، كيف ستواجه أهلها والمجتمع؟

إسراء:اتصلي بماجد فوراً، وأخبريه بما حدث.

لم ترد عليها، فهي مشوشة، فهي خائفة من ردة فعله .

اتصلت به بعد وصولها إلى المنزل، وأخبرته فاستقبل الخبر بفرح لم تتوقعه؛ لإنها تحمل جزء منه بداخلها، وعاشا في هذا الحلم دقائق معدودة، لكن انتهى سريعاً.

عندما سألته: متى سنتزوج ؟

"جاءها رده كالخنجرالذي اخترق قلبها في مقتل" :ظروفي لم تسمح الآنَ.

آسيا: الأمر لا يحتمل حقيقي، ظروفي أنا التي لا تسمح بغير ذلك.

ماجد :تعلمين أنني أتمنى أن يكون بيننا طفل يحمل حباً.

آسيا :ثم ماذا؟

ماجد :والدكِ رفض زواجنا من قبل، وتعلمين ظروفي المادية.

أغلقت الهاتف قبل أن يكمل القصة المكررة، التي سئمت من الاستماع إليها.
وقررت أن تعتمد على نفسها، كما تعودت دائماً في حل مشاكلها ، وعليها أن تأخذ القرار، ولكنها فعلاً في حيرة، تبقى على الطفل الذي حلمت به من حبيبها ماجد أم

تتخلص منه، لم تستطيع التفكير.

حاول سامح وكذلك سليم الاتصال بها؛ للاطمئنان على نتيجة التحاليل، ولكنها لم تجيب، حيث جعلت الهاتف على الوضع الصامت.

تعلم جيداً إن ماجد يحبها، بل يعشقها ويعبدها، فهي له السكن والملاذ والطفلة المطيعة، التي تلبي رغباته، ولم تكن هكذا يوماً إلا معه، فربما كانت مسحورة، لكنه لا يرغب في تحمل المسؤلية، حاول مره أن يتقدم للزواج منها، ولكن والديها أجمعا على رفضه بشدة؛ لسيطرة وسطوة والدته، فقد كانت وقتها على قيد الحياه.

فقد ماجد والده في سن مبكرة، وحمّلته والدته مسؤلية إخوته الصغار، فاضطر للعمل مع الدراسة، وكان يرعاهم، ويحنو عليهم، ويضحي بالكثير من أجلهم، وعندما أتمو دراستهم حاول أن يتقدم لفتاة أحبها في الجامعة، لكن ذكرته والدته بضرورة استكمال مشواره؛ ليزوج أختيه وأخيه، فترك حلمه وحياته حتى تم زواج الأختين في فترات متتالية، وسافرت كل منهما إلى الخارج، وكذلك سافر أخيه للعمل في إحدى الدول العربية دون مراعاة لحق أخيهم أو النظر إليه، ولا مراعاة لوالدتهم والمشاركة في تحمل مسؤليتها، والتي أصبحت في سن لا يجوز أن تترك بمفردها، أو حتى إعطاء الفرصة لأخيهم؛ ليعيش حياته، ويتزوج وينجب، وبذلك أصبح ماجد بالنسبة لوالدته الزوج والابن والصديق، لن تتنازل عنه لامرأة أخرى طوال حياتها.

فحاولت بشتى الطرق أن تفرق بين أي ارتباط بينهما، وبعد وفاتها أصبح أسير شعوره بعدم الرغبة في تحمل مسؤلية حبه الوحيد، وعشقه الأكيد الذي لم يملك عليه فؤاده بل عقله وجسده وكل جوارحه.

الفصل العاشر

خرجت آسيا من حجرتها تحمل طفلتها الصغيرة زها، والتي تبلغ من العمر عاماً ونصف تقريباً؛ لتتركها إلى زوجها في محاولة لإعداد الطعام، الذي شغلتها عنه زها ببكاءها المستمر، فاستغلت وصول خالد من العمل؛ ليحمل عنها بعض أعباء زها، فأخذها منها دون تردد في سعادة، فهو ممن يعشقون الأطفال وخاصة الفتيات، فكانت فرحته بالغة عندما علم إن آسيا وضعت فتاة جميلة كالزهرة البريئة، تحمل ملامح آسيا الجذابة، وأصر أن يسميها زها على أمل أن تصبح يوما مثل زها حديد المهندسة العربية الشهيرة، وهي عراقية الأصل والمولد، والتي لم تلاقي نجاحاً لأعمالها في بلدها، بينما انتشرت أعمالها المميزة في أربع وأربعين دولةً منها القصور والمتاحف وغيرها، وقصورلبعض الرؤساء في العالم، ولم تقف تاء التأنيث حائلاً بينها وبين تحقيق طموحها.ولأن خالد كان مهندساً معمارياً، فكان من أكثر الناس درايةً وإعجاباً بزها حديد.

وكانت آسيا في بداية حملها الثاني، وتشعر ببعض التعب، فأصبح خالد يعود مبكراً بعض الشيء إلى المنزل؛ ليراعي زها، وحتى تستطيع آسيا أن تأخذ قسطاً من الراحة، فكم هو زوج حنون عليها عوضها به الله عوضاً عن قسوة الأيام .

بعدما تردد ماجد في الإقبال على الزواج منها، فكرت آسيا في الاحتفاظ بالطفل الذي تحمله بين أحشائها، فيوماً ما فكرت أن تغادر إلى مدينة لا يعرفها فيها أحد، وتنجب هناك، وتكون لها حياتها الخاصة، وبعد أن أجهدها التفكير؛ تراجعت عن هذا القرار.

عادت مرة أخرى تفكر في أن توافق على الرجل الذي كلمها عنه والدها، وهو رجل أربعينى، متزوج من إحدى قريباته، ويرغب في الزواج منها؛ محاولةً للإنجاب، فلماذا لم تستغل الفرصة قبل أن يظهر عليها علامات الحمل؟، وتعتبر أن هذا الزوج الذي لا تعلم عنه شيئاً هو تكفير عن ذنبها، وأوحى لها الشيطان أن هذا هو الحل المناسب.

أخبرت والدها بالفعل برغبتها في مقابلة هذا العريس؛ لكي تتعرف عليه. وأثناء حديث والدتها معها فهمت أنه يعرفها جيداً، فهو يسكن في نفس الشارع، ويراها في ذهابها وعودتها، وكذلك زوجته.

"فظهر الاندهاش على ملامح آسيا" وسألتها: هل زوجته موافقة على هذا؟

الأم :نعم، وهي التي رشحتكِ للزواج منه، ولقى هذا استحساناً عنده.

آسيا: ما شاء الله الزوجة تزوج زوجها، في أي عصر نحن!

الأم :أموال الزوجة مع زوجها، فهما أولاد عم، وميراثهما واحد، وهي لا تنجب، فإن تزوج برغبته الحرة ربما طلبت منه الزوجة الجديدة أن يطلقها، وخاصة إذ أنجبت،.فهي زوجة ذكية فضلت أن توافقه ، بل وتعرض عليه أيضاً الزواج، وتختارها له أيضاً.

آسيا :أشعر إني أشاهد فيلم عربي قديم، وبعد الإنجاب يطلق الزوجة الثانية، وينسب الطفل إلى الأولى.

الأم: ما الذى تقولينه؟!

تركتها آسيا وهي تشعر باستياء، ودخلت غرفتها، وظلت تبكي، وهي تقول لنفسها:

ما هذا الذي ستفعلينه بنفسكِ؟، أتدخلين نسباً على نسباً أخر؟!،إن هذا أكثر ذنباً مما أنتِ فيه، فعادت لحيرتها من جديد، والشيطان يزين لها ما فكرت فيه، وأنه الحل الوحيد.

وفي مكتبها استغلت وجود (علي)، الذى لا يحضر بشكل منتظم، وجلست إلى جواره، وبدأت تسأله، فترك ما بيده؛ منتبهاً لها.

آسيا :أرجو أن تدعو لي؛ لإني في ضيق شديد، وفي مفترق طرق .

علي :أنصحك أن تتقربي أكثر إلى الله بالدعاء، فهو القائل (سبحانه وتعالي) "أمن يجيب المضطر إذا دعاه"، لا يوجد دعاء أقرب إلى الله من صاحب الابتلاء، فحينما يدعو بصدق، ويتوسل بحرارة، فدموعه التي تنسكب؛ أملاً في الاستجابة، وهو موقن لقدرة الله الرحيم بعباده.

آسيا: حقاً، ولكن.

علي :أنتِ ذات قلب نقي وسريرة بيضاء، كلنا يتوه في الدنيا عن طريق الحق، ولكن من هم مثلكِ يعودون سريعاً إلى الطريق المستقيم..

أثلج كلام علي صدرها كأنه إشارة البَدء لها، والرسالة التي بعثت لها من الله عن طريق علي، والشعاع الذي أيقظ بصيرتها، فأقبلت على الله بقوة.

وفور عودتها إلى المنزل قامت بصلاة الاستخارة، التي طالما قامت بها في مراحل كثيرة في حياتها السابقة، واستخارت الله في أمر العريس القادم، وهي في نفسها ضيق من الإقبال على هذا الموضوع، وخاصة أن موعد لقائه سيكون مساءَ اليوم، فشعرت بعدم الرغبة في هذا اللقاء، ولكن لم يتركها والدها، وقبل أن تنتهي من تفكيرها دخلت عليها والدتها؛ لتطلب منها الاستعداد للقاء اليوم، وتجهز ملابسها،

وتختار أجمل ما عندها.

"فاشتد غيظها وغضبها" قائلةً: أتصدقين ماتقولين؟!، الرجل لا يبحث عن زوجة جميلة، وإنما يبحث عن رحم يحمل له طفلاً، أسمعتي عن تأجير الأرحام؟

"نظرت إليها الأم في عصبية" قائلةً :لقد سئمت منكِ، ألم توافقي على هذا؟!

آسيا :كلا، لم أوافق بعد.

تركتها الأم، وأغلقت باب الغرفة في عنف.

اتصلت آسيا بصديقتها إسراء؛ مستنجدةً بها، فقد نهرتها إسراء لما أقدمت عليه،ثم بادر إلى ذهنها أن تحضر معها هذا اللقاء في محاولة لعدم إتمامه.

حضر العريس المزعوم وزوجته أيضاً، وكانت إسراء مع آسيا في غرفتها، وارتديت آسيا ملابس عادية غير مبالغ فيها، ولم تضع أي شيء للتجميل، وخرجت هي وإسراء، فقد كانت آسيا طوال حياتها تواجه المواقف التي وضعت نفسها فيها بقوة وشجاعة، ولم تفضل يوماً الهروب، حتى وإن كان في المواجهة أضرار ستقع عليها، فقد علمها والدها دوماً ألا تقطع على نفسها وعداً لا تستطيع الوفاء به، وإن أخطأت عليها مواجهة هذا الخطأ بشجاعة والاعتراف به.

كانت نظرات الزوجة فاحصة لها، سلمت عليها هي وإسراء، ونظرات الأم تكاد أن تفتك بها؛ لهذه الملابس التي ارتدتها، ولعدم وضع مساحيق التجميل، ولماذا وجود إسراء معها ؟

الفصل الثاني عشر

طرقت آسيا باب الله، فكل تدابيرها فشلت، وربما أراد الله سبحانه وتعالي هذا؛ حتى تصل إلى بابه، فمن يقصد الله لا يرده خالي الوفاض، فواظبت على الصلوات، التي كانت تؤديها من قبل في كسل وتراخي وعدم حرص، واهتمت بصلوات السنة وقيام الليل، وبكت بين يدي الخالق بكاء التائب العائد إليه في سكون الليل، وتحدثت مع ربها، واعترفت بذنبها بل بذنوبها، وقطعت على نفسها وعداً مع الله بإنهاء علاقتها مع ماجد برغم حبها الشديد له، الذي لازال يسكن داخلها، ولكنها ستتخلي عنه في سبيل الله، وقد قرأت يوما حديثاً شريفاً تذكرته في هذه اللحظات: "من ترك شيئاً لله؛ عوضه الله خيراً منه" (صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم) .

وطلبت من الله أن يساعدها في أن تبرأ من هذا الحب والعشق، وتشفى منه. واستمرت على ذلك، وحاولت أن لا تتذكره، وكلما جالت ذكراه بخاطرها، لجأت إلى كتاب الله، فتملأ قلبها بنور كلماته.

وصلتها نغمة الهاتف التي خصصتها لماجد، فلم تتحرك من مكانها برغم أن قلبها يشتاق إلى سماع صوته، ولكنها وعدت الله، فكإنها لم تسمع شيء.

وقبل نومها أمسكت هاتفها المحمول، فاكتشفت اتصال ماجد عدة مرات، واتصال من إسراء.

فاتصلت بإسراء على الفور.

_لماذا لم تجيبي على اتصالي؟

_كنت مشغولة.

_تمام سألت لكِ على طبيب، وأردت أن أخبركِ بالاسم والعنوان.

شعرت إنها رسالة السماء إليها، فقد كان موعد اتصال إسراء المسجل على الهاتف بعد العشر مكالمات التي قام بها ماجد، وبعد أن وفت بوعدها مع الله، ولم تحاول حتى الرد عليه، فبعث الله لها بالبشرى، وشعرت أن الله قبل توبتها؛ فغمرتها السعادة، وقامت فور انتهاء المكالمة بالسجود؛ شكراً لله.

وأثناء قيادتها سيارتها للتوجه لعملها، أدارت الراديو على إذاعة القرآن الكريم، فصادفت كلام أحد الشيوخ يتحدث عن عملية الإجهاض، والذي قال رأي لبعض العلماء "أن إجهاض الحمل من علاقة غير شرعية أفضل من الإبقاء عليه، وتركه في الشوارع؛ لعدم اعتراف المجتمع به، وكذلك أفضل من نسبه لغير والده".

وشعرت(آسيا) أن هذه رسالة أخرى من الله؛ ففرحت جداً لسماع هذا الكلام.

وصلت إلى مكتبها مبتهجةً، وسألها سامح عن سبب هذا التفاؤل في الصباح، فلم ترد عليه.

وبعد أن جلست تنبهت لوجود علي؛ فزاد تفاؤلها باليوم، وهمت بسؤاله عن الرسائل الإلهية.

_إن الله سبحانه وتعالي يبث إلينا برسائل مشفرة؛ لنتجنب شيء، أو نتقبل شيء، ولكن ذوي القلب النقي والصفاء هم من يدركون فقط هذه الرسائل، ويصلون إلى فك الشفرة، وأخرون لا ينتبهون إليها، ويستمرون في غيوبتهم يعبثون.

ابتهج قلبها لما سمعت، وشعرت أن الله قَبِلها في عباده المخلصين، وعليها أن

لا تخلف وعدها مع الله، غادرت المكتب إلى الطبيب، الذي دلتها عليه إسراء، وطلبت منها أن تذهب معها؛ حتى لا تكون بمفردها، ولكنها اعتذرت منها، فقدرت ذلك؛ لإنها تعرف وتقدر أعباء إسراء، وانشغالها بأولادها.

وصلت إلى الطبيب، وانتظرت موعدها، وهي في حيره لا تعلم ماذا ستقول له؟، وظلت تدعو الله أن يدبر لها أمرها، وكررت الآية الكريمة (رب اشرح لي صدرى ويسر لي أمري واحلل عقدة من لساني يفقهوا قولي) صدق الله العظيم .

دخلت إلى الطبيب، وأظهرت على وجهها علامات الحزن، فسألها عن بياناتها، فأجبته باسم مستعار وعنوان مستعار أيضاً، أما عن الحالة الاجتماعية،قالت:إني متزوجة، ولديها أربعة أطفال.

سألها عن موعد آخر دورة شهرية، قالت :أكثر من شهر لا أدري تماماً، ثم أجهشت في البكاء، فحاول الطبيب تهدئتها.

الطبيب :أين زوجكِ؟

وكأن السؤال فتح لها باباً؛ لتصل إلى هدفها.

هي:لا أعلم عنه شيئاً، هو يزورنا على فترات متباعدة، وآخر مرة منذ أكثر من شهر.

هو :هل هو متزوج من أخرى؟

هي: لا أعلم عنه شيئاً كما قلت لكَ، فيحضر أحياناً؛ ليرى الأولاد، ويأخذ حقه الشرعي كما يدعي، ثم يغادرنا، وعندما أسأله: إلى أين سيذهب؟، ينهال علي ضرباً وسباً.

نظر إليها الطبيب، ولمحت في عينيه شفقةً ورأفةً بها؛ فراودها احساس بالانتصار.

هو :يترك لكِ أموال؛ لتصرفي على الأولاد.

هي :كلا، أنا أعمل مدرسة، وأصرف عليهم من عملي فقط، حسبي الله ونعم الوكيل.

هو: هل قمتي بعمل تحليل؟

هي :لم انتبه لذلك، ولكن تأخر الدورة الشهرية هو ما جعلني أقلق، كما إني أشعر بالتعب والدوخة وكثرة النوم.

فقمت بعمل تحليل فوري بالعيادة، فكانت النتيجة إيجابية.

صكت صدرها بيدها، وأظهرت صدمتها، والشعور بالحسرة والندم، وبكت؛ فحاول تهدئتها، وقام بفحصها بالأشعة التليفزيونية؛ ليتعرف على حجم الجنين، وأخبرها أنه حوالي أربعين يوماً

قالت "وهي تبكي" :يجب أن أتخلص من هذا الجنين، فيكفيني أربعة أطفال أتحمل مسؤليتهم، أرجوكَ أن تساعدني.

تأثر الطبيب من بكائها ونحيبها، ثم قال لها في محاولة أخيرة:

_أنتِ تعلمين أن هذه العمليات جُرْماً، ويحاسب عليها القانون.

_إذن ما العمل؟، أنا سئمت من هذه الحياة الظالمة، واستمرت في البكاء، الذي حققت فيه رقماً قياسياً في هذا اليوم ، فهي لم تكن تعلم عن نفسها هذه القدرة من قبل.

الطبيب: سأكتب لكِ أقراصاً تستخدمينها اليوم، وإذا وجدت بعض الدماء؛ تحضري

إلى هنا على الفور، وتخبري الممرضة إنكِ تنزفين.

وأيقنت (آسيا) أنه أعطاها فقط سلاح الجريمة، وعليها أن تفعل ما تراه مناسباً لها، وكأنه ركل الكرة في ملعبها.

شكرته ودعت له كثيراً بعد أن أعطاها ورقة تحمل اسم الأقراص المطلوبة، وليست روشتة تحمل اسمه؛ حتى لا تكون سبباً في إدانته.

بحثت عن هذه الأقراص، ولم تهتدي إليها، وردت على اتصالات إسراء العديدة، وأخبرتها بما حدث، فاقترحت عليه تبحث في الصيدليات الصغيرة المجهولة، ودلتها على إحدى الصيدليات، فتوجهت إليها، وقد تذكرت يوماً إحدى قريباتها التي كانت حاملاً، وتوفي جنينها، وطلب منها الطبيب أن تأخذ هذه الأقراص؛ حتى تسهل انقباض الرحم، والقيام بعملية الإجهاض.

فأخبرت الصيدلي بهذه القصة، وبأن أختها في حالة خطرة، وتحتاج إلى هذا العلاج، شعر الصيدلي بالحزن والقلق على وجهها؛ فأعطاها قرصاً واحداً، وأخبرها أن هذا القرص لا يصرف إلا بتوصية مكتوبة من الطبيب.

فأخبرته أن التذكرة الطبية مع زوج أختها، فهو أيضاَ يبحث عن الأقراص في مكان أخر، وأنها توسمت فيه خيراً بأنه سيساعدها.

عادت إلى المنزل، ودخلت غرفتها بعد أن ألقت التحية على والديها، وسألتها والدتها عن سبب تأخرها، فأخبرتها أنها كانت عند إسراء.

استخدمت القرص كما قال لها الطبيب بعد أن أدت فريضة العشاء، وتوسلت إلى الله أن يسامحها على الحكايات الكاذبة التي تناولتها اليوم، وصْلَت ركعتين لقضاء الحاجة، وجلست في فراشها تقرأ القرآن حتى نامت.

قامت في الصباح مسرعةً، فلم تجد أي دماء سالت منها؛ فاكتئب وجهها، وبعد تفكير استقرت على أن تعيد المحاولة الليلة أيضاً.

ذهبت هذه المرة إلى صيدلية أخرى مجهولة، وقصت على الصيدلي نفس القصة السابقة، ولقيت منه نفس الرد تقريباً، وأخذت القرص وهي تشكر الصيدلي، وتدعو له بالخير.

كررت المحاولة للمرة الثانية، وهي تدعو الله أن تنتهي من هذا الكابوس، ولبى الله الكريم ندائها، فاستيقظت في الصباح على بعض الدماء المستقرة على فراشها، لم تهتم لصراخ والدتها المتوقع عندما تجد هذا الدم، الذي يصبغ الفراش، ولكنها نجحت بهذه النتيجة، وقامت من الفراش، ورفعت الأغطية، ووضعتها بالغسيل قبل أن تراه والدتها هنا.

غادرت إلى العمل، واتصلت؛ لتحجز موعداً بالعيادة، الذي كان بعد انتهاء العمل مباشرةً، أخبرت الممرضة بحالتها، وفور دخولها للطبيب قام بعمل أشعة تليفزيونية، أثبتت له وفاة الجنين، وعليه الآنَ التخلص من آثاره داخلها، ورتب لها موعداً في اليوم اليالي بعد اثني عشر ساعةً من الصيام .

لم يغمض لها جفن في هذه الليلة الكحلاء، وظلت نبضات قلبها تتصارع بداخلها، فهي المرة الأولى التي تدخل فيها غرفة العمليات، إلى أي مصير يسوقها القدر، وكأن الحياة تنتقم منها أشد انتقام.

أين من عشقته وأحبته ؟، أيشعر بما هي فيه الآنَ؟، أرسلت له رسالة على الهاتف تخبره، وأغلقت الهاتف بعدها؛ لإنها لا ترغب في الحديث مع أحد.

الفصل الثالث عشر

استقبلت القِبلة، وأَقْبَلَت على من ليس له سواه وحده القادر على أن ينقذها. فربما أراد ربها أن يوقظها من غفلتها، ويردها إليه رداً جميلاً، شلالات من الدموع الساخنة تنهمر؛ لتغمرها بالمغفرة والتوبة، فقد تكون آخر ما تفعله قبل أن يسوقها قدرها إلى مصير محتوم، لا تعود منه إلى أرض الدنيا.

جاءتها لمسات شمس ربها بأشعتها الخفيفة؛ لتوقظها ووجدت نفسها على الأرض نائمةً مكان صلاتها، فدعت الله بقلب نقي، وكأن الله خلقها من جديد، فابتسمت ابتسامةً صافيةً، وبعد أن أتمت وضوئها، وأدت ركعتين، ثم تلت آيات كريمة من كتاب الله؛ لتثبتها وتشدد من أذرها، فهي لا ترغب في أحد سوى الله.

لم تكن آسيا من قبل بعيدة عن الله، بل كانت منذ خلقها الله على هذه الأرض تحيا بالفطرة، التي وهبها الله لجميع خلقه، كانت تصلي، وتقرأ القرآن، ولا تقصر أبداً في الصيام، برغم إن أسرتها كانت أقل التزاماً في بعض الامور. ولم يحثها أحد على ذلك، ولكنها الغفلة التي تصيب الإنسان في حياته؛ لانغماسه في الدنيا وملذاتها، جاء الموعد المحتوم، فظلت تذكر الله كثيراً في سرها، فقلبها يرجف، وعينيها تترقرق بالدمع،تردد في سرها قوله تعالي (ألا بذكر الله تطمئن القلوب).

سألها الطبيب عن وجود أحد معها والدتها أو أخت أو صديقة، فنفت ذلك موضحةً :لو علمت والدتي؛ لرفضت وأصرت على الاحتفاظ بالطفل الخامس، ولن تهتم بعواقب الأمور.

شعرت في عين الطبيب بالشفقة والعطف عليها كما كان منذ بداية لقائها به. حضر

طبيب التخدير، شعرت حينها أنه قابض الأرواح، فلديها خلفية سيئة عن التخدير، فكم قرأت في الصحف من قبل عن السيدات اللاتي انتهى عمرهن؛ بسبب جرعات خاطئة في عملية التخدير، فحاول أن يطمئنها بعد أن أصبحت بين يديه، وبدأت تقرأ ما تحفظه من آيات حتى غابت عن الوعي.

شعرت بصفعة على وجهها، هل هي في القبر؟

ترتجف ولا تقوى على فتح جفنيها، فتتكرر الصفعة، ثم بدأت تسمع اسمها ينادى، جاءها الصوت من بعيد.)آ س ي اااا).

ثم اقترب الصوت رويداً رويداً، حاولت ثم حاولت حتى تمكنت من رفع جفنيها لأعلى

_من هذا الرجل؟، حاولت التذكر، هل يعرفني؟، وأين أنا؟

_آسيا -آسيا

حاولت بصعوبة تحريك لسانها وشفتيها، وسألته بكلمات متقطعة.

_من أنتَ ؟

_أنا الطبيب الذي أجرى لكِ العملية.

_عملية،.ألازلت على قيد الحياة؟

_أحاول أن أوقظكِ منذ ساعتين.

_شكراً لكَ يا دكتور.

_هل ترغبين في رؤية الجنين؟

_لا أرغب أبداً.

نهضت من الفراش، وارتدت ملابسها، وغادرت العيادة بعد أن أعطت للممرضة مبلغاً من المال، وفي الشارع شعرت بدوار شديد، لم تستطيع استقلال سيارتها وهي بهذا الوضع، وقفت حائرة لا تستطيع التفكير، وقد ظهر عليها الإعياء، فقدر الله لها أن تقف إلى جوار سيارة أجرة، فاستقلتها دون تفكير حتى وصلت للمنزل، ولم تعرف كم الساعة؟، أو ماذا ستقول لوالديها؟، دخلت غرفتها، ولم تنتبه لوجود أحد، فحمدت الله، فهي ليست في حاله تستطيع فيها الحديث، أو الدفاع عن نفسها؛ لتأخرها.

طلب منها الطبيب عدم الطعام لمدة ساعتين، وأن تشرب فقط بعض العصائر، وبالرغم من وجود ألم شديد وصعوبة بالحركة وصلت إلى الثلاجة، وحصلت على زجاجة من العصير، الذى تعده والدتها دائماً، عادت إلى غرفتها، وتمنت أن تغوص في النوم قبل وصول والديها.

أيقظتها قبلة حانية على وجنتها في هدوء، ابتسمت إلى والدها، الذي أراد أن يطمئن عليها، أمسكت بيده وهي فى الفراش، وقربتها من شفتها فقبّلتها، وهي تعتذر له في صمت، ودموعها تنزف من مقلتيها، فيأخذها بين ذراعيه؛ فشعرت بدفءٍ كانت في أمسّ الحاجة إليه، جذبته بشدة إليها، ودفنت رأسها بين ضلوعه، فابتعد قليلاً، وجفف دموعها بكفه، فقبّلت كفه.

_ماذا بكِ ياحبيبتي؟، منذ أيام أشعر إنكِ صامتة، ولم أراكِ أمسَ؟، واتصلت بكِ كثيراً، لكن كان هاتفكِ مغلقاً؛ فزاد قلقي عليكِ حتى وصلتي، واطمئنت لوجودكِ، فقد كنت نائمة كالطفلة الصغيرة، فلم أحاول إيقاظكِ.

_شعرت أمسَ ببعض التعب وأنا في العمل، وأخذتني) سارة) إلى العيادة الخاصة بالعاملين، فأدركت أن لدي نزيف، ولم أشعر به وقتها، وأبقاني الطبيب في العيادة، وقام بتعليق بعض المحاليل؛ لإيقاف النزيف، ثم وصلتني سارة إلى هنا، وقد أغلقت الهاتف وأنا بالعيادة؛ حتى لايقلق أحد لعدم قدرتي على الرد.

_علينا أن نذهب إلى الطبيب.

_لا تقلق ياحبيبى، سأصبح بخير، وقد أعطونى إجازة من العمل.

سأحاول الراحة، ولكن عليكَ أن توصي والدتي بأن لا تطلب مني القيام بشيء من أعمال المنزل، فهذه إجازة مرضية.،ضحك كلاهما، وقام الأب، وأعد لها كوباَ من الشاى باللبن وبعض الفطائر التى تعدها والدتها.

أمتنت له آسيا، فكانت منذ يومين بدون طعام، أيقظت هاتفها من غفلته. فكان هناك العديد من محاولات الاتصال (إسراء –سليم-سامح)، وهذا ماجد اتصل عشر مرات، ظنت أنه سيأتي إلى الطبيب؛ ليطمئن عليها.

وصلتها مكالمة من ماجد، ترددت في قبولها، وبعد لحظات ردت عليه.

_صباح الخير يا حبيبتي، كنت قلقاً عليكِ بالأمسَ، وقد سيطر الجنون على عقلي؛ لهاتفك المغلق.

_أنا بخير، وسأمكث بالمنزل عدة أيام، لن استطيع استقبال مكالماتك.

_اشتقت إليكِ.

"ضحكت بسخرية" وقالت :
إلى اللقاء.

برغم كل ما حدث إلا أن قلبها لازال معلقاً به، ينبض؛ لسماع صوته، وقد يهلل؛ لرؤيته، قالت لنفسها سأبدأ في العلاج من هذا المرض اللعين "مرض العشق"، وقررت أن تمتنع عن سماع الأغاني ومشاهدة أي مشاهد رومانسية؛ حتى لا تستجلب ذكرياتها مع ماجد، وحتى تفي بوعدها مع الله الذى أنقذها.

والإكثار من تلاوة القرآن وسماعه، والالتزام بقيام الليل بعد الانتهاء من فترة النفاث التي بدأت، استعانت آسيا بالله على الشفاء من العشق، الذى تحدث عنه الكثير من العلماء والفلاسفة، ووصفوه بأنه من أمراض القلب، فقرأت ذلك على لسان (ابن سينا، وابن قيم الجوزيه، وابن تيميه) وغيرهم من العلماء.

الفصل الرابع عشر

عاشت آسيا محطمة الفؤاد بعد تنازل ماجد عن حبها، الذي وهبته إياه منذ أن عرفته، فكان حبها له متوغلاً فيها حتى النخاع، تتنفسه وترتوي من عشقه، وتضحي من أجله بكل غالي ورخيص، فقد حاول الارتباط بها، ولكن والدته دقت مسماراً في النعش، فكانت الصراعات مستمرة بين آسيا ووالدته وكذلك والدتها لا تنتهي؛ فقرر والدها إلغاء كل الاتفاقات وإنهاء الارتباط، وحاولت آسيا إقناع والدها بإتمام الارتباط، ولكنه لم يهتدي لرأيها.

حاولت أيضاً إقناع ماجد بالزواج والهروب بعيداً عن أسرتيهما، فرفض ووجدت نفسها في مفترق الطرق، وما زاد البلاء فقد سافر ماجد؛ للعمل بالخارج بعد إقناع والدته له بذلك، فكانت لديه عقبات شديدة في عمله، حيث كان يعمل في مجال التسويق في إحدى الشركات الخاصة.

اعتصر قلب آسيا لهذا الخبر، ورغم وعوده لها أنه بهذا السفر سيهئ الوضع هنا؛ ليلبي رغبة قلبيهما، فيتزوجا ويغادرا إلى الكويت، وتبدأ حياتهما بعيداً عن المشاكل.

عاشت في الأحلام الوردية لمدة عام، وعاد في إجازة؛ ملبياً طلبات والدته في تجديد شقتها وشراء أثاث جديد، وكأن خنجراً رشق بقلب آسيا، أليست حياتنا التي لم تبدأ بعد في حاجه لهذا؟، فقد بدد ما جمعه من عمله.

انتهت إجازته السنوية بين تلبية رغبات والدته، وبعض المقابلات مع آسيا، سافر على أمل جديد تاركاً آسيا في حالة من اليأس والحزن والكمد.

صادفت عمر في طرقات الحياة المليئة بالبشر ذهاباً وإياباً، لا تعي انتباهها لأحد، ولازال ماجد يشغل تفكيرها، اتفقت مع إسراء يوماً أن يذهبا معا إلى المتحف المصري، فكانت مولعة بالتاريخ والآثار، وأمام إحدى تماثيل نفرتيتى الجميلة جذبها روعة التمثال، والعينين اللتين تبدو حقيقيتين، فلهما لمعة وبريق، أخرجت هاتفها في محاولة؛ لتصويره والاحتفاظ بهذه الصورة للتمثال البديع، منعها الأمن من التصوير، فارتفع صوتها في المكان؛ لتخبرهم بأنها تعمل بوزارة الثقافة المهيمنة على المتحف, ظهر أمامها فجأة رجل وسيم، أسمر البشرة، له عيون عسلية جذاب.

"وقال لها في هدوء" :تفضلي معي.

_إلى أين؟

_لن أخطتفكِ بالتأكيد.

ابتسمت وتركت إسراء، وسارت خلفه، فتح لها باب مكتبه، وقدمها عليه في الدخول.

كانت حجرة صغيرة بها مكتب أنيق يناسب حجم الغرفة، أمامه مقعدين تزينهما رسومات فرعونية أنيقة.

جلست على أحد المقعدين، وجلس هو على الأخر.

_أهلاً وسهلاً بكِ.

_أنا عمر المسؤل الإدارى عن المتحف.

_آسيا، مترجمة بوزارة الثقافة.

_إذنَ نحن زملاء!

"_ظهرت على وجهها ابتسامة صافية": نعم، وكنت أرغب....

قاطعها في لطف

_تعلمين جيداً التصوير ممنوع داخل الأماكن الآثرية، وهناك العديد من اللافتات داخل المتحف تشير إلى ذلك.

_أنا لن أتاجر بالصورة، بل ساحتفظ بها فقط؛ لأنها جذبتني.

ضحك عمر ضحكةً خافتةً جذبتها إليه قائلاً: هذه الصور تباع على الأرصفة، ومنشورة في كل وسائل الأعلام ومواقع التواصل الاجتماعي.

_إذنَ ما المشكلة؟

_أي ضوء يصدر من الكاميرات أو الهواتف المحمولة يؤثر على هذه الآثار، فالإضاءة بالمتحف موضوعة بشكل تخطيطي ومدروس؛ كي تكون ملائمةً لطبيعة الآثار الموجودة.

_هذه المرة الأولى التي أقوم فيها بهذا، فأصبحت كارثة.

_عزيزتي القوانين لا تتجزأ، علينا أن تلتزم بها، أرجو أن تفهمينى.

هزت رأسها بالإيجاب، واعتذرت عن الإزعاج الذي سببته، وقامت من مقعدها، تبعها عمر، وأعطاها كارتاً يحمل اسمه ورقم هاتفه، كما يحمل بعض الرسومات الفرعونية.

_أتمنى أن أسمع صوتكِ قريباً.

_إن شاء الله.

_في انتظار زيارتكِ للمتحف مرة أخرى، لكن بدون تصوير، وضحكا معاً.

إسراء: ما الذي حدث؟، آسيا،.آسيا، ماذا جرى مع ذلك الرجل؟

آسيا :أيقظتنى من حلم.

إسراء: أتحلمين وأنتِ سائرة في الطريق؟!

آسيا :رجل لطيف ووسيم.

إسراء: من؟

آسيا :عمر.

إسراء :عمر ذلك الذي قابلنا في المتحف.

آسيا :نعم، أعطاني رقم هاتفه.

إسراء :ثم ماذا ؟

أنهت آسيا الحديث عند وصولهما إلى السيارة، ولكنها لم تنتهي من التفكير في عمر، وأسلوبه في الحديث معها، ونظراته إليها التي كانت تحمل مشاعر خفية، وبعد أن قامت بتوصيل إسراء وصلت إلى منزلها، ودخلت حجرتها، وأخرجت الكارت من الحقيبة، ووضعته أمامها بعض الوقت.
وفجأة تذكرت ماجد، ثم قالت لنفسها: ما هذا الذي تفعله؟!، أنتِ تخون ماجد، أعادت الكارت مرة أخرى إلى الحقيبة، ثم أرسلت رسالة إلى ماجد، تبث فيها شوقها إليه، ولوعة الفراق التي أصابتها.

الفصل الخامس عشر

ساد الصمت في مكتب آسيا حين دخل شاب وسيم الغرفة، وكان مكتب آسيا في مقابلة باب الغرفة، فوقع بصرها عليه بعد أن شعرت بالهدوء المفاجئ بعد الضوضاء، التي تصنعها سارة بحديثها مع منى بصوت مرتفع وردود سامح عليهما.

إنه عمر يتوجه إليها، قامت واقتربت منه؛ لترحب به بابتسامة وسط دهشة وذهول مَن حولها، فقابلها بابتسامته الرقيقة.

_كيف حالكِ يا أستاذه آسيا؟

_بخير، ما هذه الصدفة السعيدة؟

_كنت بالوزارة؛ لإنهاء بعض الأوراق الخاصة بالمتحف، وقررت أن أَمُر عليكِ؛ لأجدد أسفي عما حدث في المتحف.

نظرت إليه في امتنان وهي تبتسم.

_من المفروض أن أعتذرأنا؛ لما بدر مني لخرق القوانين، شعرت بحماقتي حينها.

_أبداً، لقد تصرفتي بتلقائية، وما أملاه عليكِ حبكِ للآثار.

شعرت بالسعادة؛ لأنه فهم ما بداخلها، ربما لم تفسر هي الموقف هكذا.

غادر المكان بعد أن أخذ منها وعداً بسماع صوتها قريباً، ووسط دهشة الجميع وتساؤلاتهم الجانبية عن هذا الفارس تركتهم في حيرتهم، وغادرت المكتب، كانت على موعد مع إسراء في كافيه قريباً من عملها، وقصت لها ما حدث وفي عينيها

فرحة، بينما كانت تستمع إليها صديقتها باستغراب.

_آسيا: هل أحببتي عمر؟، ونسيتي ماجد.

_ماجد....، أين ماجد؟، لقد تنازل عن حبي، وعمري الذي قدمته تحت قدميه.

_لقد وعدكِ في الإجازة القادمة سيتم كل ما ترغبين فيه.

_كم من وعودٍ قطعها!، وكم من أحلامٍ حطمها!

_أهدئي يا آسيا، لا أعلم إنكِ ستتأثرين من كلامي هكذا.

سقطت قطرات الدمع سريعاً من عينيها، إني اتكبد حزناً، ويعتصر قلبي على حبي الوحيد.

_لا تحاولي أن تدخلي علاقة جديدة قبل أن تحسمي علاقتكِ بماجد، فأنا أعلم جيداً إنكِ تعشقيه إلى حد الأدمان، ماجد يسكن في دمكِ، ينتقل بين شهيقكِ وزفيركِ، أنتِ تتنفسي بحبه.

لم تستطيع آسيا إيقاف سيل الدموع المنهمر غير منتبهة لوجودها بمكان عام.

غادرت مع إسراء المكان بعد أن جففت دموعها، وانتهت من قهوتها، وفي طريقها إلى المنزل بحثت في هاتفها على أمل جديد، ربما أرسل لها ماجد رسالةً تطمئنها، لكن خاب ظنها.

انفردت بنفسها بعد وصولها المنزل، وحاولت أن تصل إلى حل لهذه المتاهة التي بداخلها، اتصلت بماجد، فلم يأتيها الرد، فقلقت عليه، فمنذ أيام لم يصلها منه أي رسالة أو مكالمة.

تشجعت واتصلت بوالدته، فجاء ردها بارداً كالعادة، فحاولت التماسك، وسألتها عن أحوالها بعد سفر ماجد، فكان ردها يحمل لها مفاجأة قاسية ألجمت لسانها.

_ماجد كان هنا في مصر منذ أيام، وسافر اليوم فقط، وكان ردها يحمل نكهة السخرية من آسيا.

_ماذا تقولين؟، كان هنا وسافر، لا أفهم شيئاً.

_جاء في مأمورية خاصة بعمله، وحضر مؤتمراً في شرم الشيخ، وحضر بالأمسَ؛ ليطمئن علي، وأمضى معي الليلة، وغادر اليوم.

شعرت آسيا بأن حائطاً بالغرفة يسقط فوق رأسها، وكأن الأم تحاول أن تقطع كل حبل يصل بينها بين ماجد، قذفت الهاتف، وأجهشت في البكاء، فمنذ دقائق كانت تبكي؛ لفراقه والآنَ.تختنق أنفاسها في حلقها، تحاول أن تملأ الكون صراخاً، ويعجز صوتها عن الخروج، ويحيط الظلام بها، فتفقد جميع حواسها في لحظة، تدعو الله في ظلمتها، كما دعا يونس ربه وهو في بطن الحوت لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين.

أسدلت ستاراً على قلبها، وأقامت له مراسم الدفن والعزاء، وارتدت السواد على حبيبها الذي توفي، ورضيت بقضاء الله.

ذهبت إلى عملها، وعلامات الحزن ارتسمت على وجهها المرح البشوش دائماً.تلتزم الصمت، وترتدي السواد حقاً، وعندما سألها زملائها أخبرتهم أن عزيز لديها توفاه الله.

وقدم لها زملاؤها واجب العزاء، وتقبلت العزاء في حبها، وفي قلبها الذي دفنته بيدها، ثم بكيت عليه، تضرعت إلى الله صباحاً ومساءً؛ ليعفو عنها، ويغفر لها،

وجائتها الرسالة من الله بالصفح والعفو، حيث يلبي الله نداء من تضرع إليه بصدق، ومن تقرب إليه؛ طمعاً في النجاة.

جاءها رد الله، الذي ربت برفق على قلبها الملكوم، فقد دخل عمر مكتبها؛ ليسلم عليها، ويقدم لها العزاء، وقد علم بهذا من أحد الأصدقاء المقربين له في الوزارة، وقد وصلتها الرسالة من الله في صوت عمر؛ مواسياً لها.

رحبت به في حرارة، وشكرته على اهتمامه وشعوره تجاهها.

وجال بخاطرها عمر، واهتمامه بها، أحقاً هو مهتم بها؟، أم خيالها يصور لها ذلك؛ ليبعدها عن ماجد.

اتصلت به فور وصولها المنزل، فرد عليها في جدية.

_أفندم.

_أفندم يا فندم.

_من معي؟

_آسيا.

_هدأت حدة صوته قليلاً :سعيد باتصالكِ.

_أريد أن أشكركَ على اهتمامكَ يا فندم.

يضحك ضحكته الهامسة، التي جذبتها إليه من قبل.

_أزعجتكِ كلمة أفندم؟

_ردت "ضاحكة": شعرت إنى أتحدث مع سيادة اللواء.

_لم تذهبي بعيداً، فقد التحقت بعد دراستي بكلية الآداب بالكلية الحربية، وعملت بالقوات المسلحة بالمتحف الحربي حتى وصلت إلى رتبة مقدم، ثم انتقلت إلى العمل المدني في المتحف المصري.

_كل ذلك؟، كم عمركَ إذنَ؟

_الخامسة والثلاثون ينفع،وأطلق ضحكته.

_ينفع ولكن ملامحك يبدو أصغر من ذلك.

_عيونكِ فقط تراني هكذا.

شعرت بالخجل، ثم استرسلت معه في حديثٍ، لا تعرف كيف سينهى؟، وكيف انجذبت إليه كل هذا الانجذاب؟، فهي المكالمة الأولى معه، انتهت بأنهما أصبحا صديقينِ تقريباً، أيقنت آسيا رسالة الله لها، وتقبلتها فلا تستطيع أن ترد هدية الله، وشعر قلبها أن الله يداوي جرحها .

الفصل السادس عشر

أفاقت من غفلتها على صوت الهاتف، ووميض يعلن عن اسم المتصل (عمر)، أخذت علامات الاستفهام مكانها على وجه آسيا، وأصابها الذهول، فكيف توصل إلى رقمها؟، ألح الهاتف في الرنين، فتلقت المكالمة.

_صباح الخير يافندم.

_صباح الخير يافندم.

_كيف حالكِ؟، أرجو أن لا يزعجكِ اتصالي.

_أبداً، ولكن....

_ماذا؟

_كيف وصلت إلى رقمي؟

_بمنتهى البساطة اتصلت بحضرتكِ منذ يومين، ودارت بيننا مكالمة لطيفة، أنسيتي؟

تطرق على جبهتها بكفها

_أكيد لم أنسى تلك المكالمة، ولكن غاب عن بالي أنك سجلت رقمي؛ لتعاود الاتصال بي.

_هل تحبين سماع الموسيقى؟

_هاهاهاها، ذكرتني برواية قديمة قرأتها اسمها "هل تحبين برامز"، وهو موسيقار

ألمانى شهير كانت موسيقته امتداد (لبيتهوفن)

_يبدو إنكِ تحبين القراءة.

_بل أعشقها.

_بالنسبة للموسيقى؟

_أكيد الموسيقى شيء رائع، يجعل الذهن صافي، ويدخل السرور على القلب.

_لدي دعوتينِ لحضور حفلاً بالأوبرا (لعمر خيرت)، مارأيكِ؟

_أنتَ تدعوني؟

_نعم يا...آسيا، أقصد يا أستاذة آسيا.

_موافقة طبعاً، دعوة لا يمكن أن ترد، وأنا آسيا فقط.

بعد الاتفاق على تفاصيل اللقاء، جلست مكانها، والبسمة تعلو شفاهها، والأحمرار يصبغ وجنتيها، يبدو أن هرمون الدوبامين بدأ يعمل من جديد. وقد ظنت إن انتهاء حياتها مع ماجد أنهت عندها المشاعر والاحاسيس، ولكن هذه المشاعر متجددة مثل الطاقة لا تنفذ ولا تستحدث من عدم، عليها الآنَ ترتيب حالها للذهاب إلى الأوبرا، وما أدراك ما الأوبرا!

وصلت إلى المنزل، وأخبرت والدتها أن لديها دعوة لحفل بالأوبرا مع بعض الزملاء، واتصلت بوالدها؛ لتخبره كما أشارت عليها والدتها، فكان من عشاق الموسيقى والأوبرا، وشجعها عندما كانت طالبة بالمدرسة على تعلم العزف الموسيقي، واستمرت به عدة سنوات، فأصبح لديها الحس القوي والفهم الواعي للموسيقى.

انتظرها عمر بسيارته وقلبه متلهف؛ لرؤيتها والشوق يملأ عينيه، تود لو تنطلق من مكانها؛ لتسترق رؤياها، مرت الدقائق ثقيلة كالجبال عليه حتى لمحت عينيه شمس بهاءها في الأفق، فاخترق قلبه شعاع نورها، وهمَّ باستقبالها، وسلم عليها في رقة بالغة، وفتح لها باب السيارة كملكة متوجة، كانت نظراتها الباسمة إليه يشوبها الاستغراب، وشعرت إنها في القرن الماضى، فلم يعد اليوم رجلٌ يفعل ذلك.

تبادلا عبارات الترحيب

_كنت أفضل الذهاب بسيارتي؛ حتى لا أشق عليكَ.

_اتعتقدين إني كنت سأتنازل عن بعض الوقت الذي سأمضيه إلى جوارِكِ؟

نظرت إليه مندهشةً، فلاحظ ذلك فعاد قائلاً: أشفق عليكِ أيضاً من الازدحام فى هذا الوقت، ثم كيف أتركِكِ تقودين سيارتكِ وأنتِ بهذه الأناقة؟، فأنتِ أميرتي اليوم.

_أنتَ أيضاً بكامل أناقتكَ.

_إنها الأوبرا لها هيبتها وملابسها الرسمية.

كان عمر يرتدي بدلة كاملة من اللون الأسود، وقميصاً من اللون الرمادي المائل إلى الأسود، ورابطة عنق باللون الفضي، فيبدو كأنه عريس في يوم زفافه، وكانت آسيا ترتدي بدلة من اللون الرمادي، وقميصاً من اللون الزهري الذي تفضله.

حدثته آسيا عن حبها للموسيقى، وعن تعلمها العزف على الجيتار، وتشجيع والدها لها، فكانت الألحان العذبة تنساب من بين شفتيها، ويستمتع عمر بحروفها وكلماتها، ويتمنى أن لا ينتهي الحجيث بينهما.

تم استقبال عمر بشكل مناسب لمنصبه، وجلسا بالمقاعد المميزة المخصصة لهما، وقبل بداية العرض تطلعت آسيا لوجوه الحضور من حولها، فوجدتهم متفاوتينَ في أعمارهم، فمنهم الشباب والشيوخ، ولكن يتفق الجميع في أناقة الملبس بما يناسب أناقة المكان، وشعرت إنها في حلم جميل تمنت أن يدوم طويلاً.

انتهى الحفل، وانفرد عمر بها من جديد، يحاول أن يخفي مشاعره، التي طرقت باب قلبه منذ اليوم الأول الذي قابلها فيه، فقد انجذب اليها، وسيطرت بحديثها على كل ذرة بداخله، حتى وصل بها إلى المنزل، ونزل من سيارته، وقد همّت آسيا بفتح الباب، فأسرع هو بفتحه لها، فودعها بقلبه ونظرات عينيه، التي لا تخفى عن آسيا، فلديها احساس واعي تتميز به، فهي تعرف تلك النظرات جيداً، نظرات الحب حتى وإن أخفاها صاحبها، تركته وقلبها يرقص على أنغام (عمر خيرت)، التي اندمجت مع حروف وكلمات عمر، ابتسمت وظلت ليلتها في حالة نشوة، وشعرت أن هرمون الدوبامين تم افرازه عند عمر أيضاً.

حاول عمر طرد الفكرة من عقله، ولكنه وجد نفسه في وزارة الثقافة مختلقاً أسباباً واهيةً أنجزها في عَجَلٍ، ثم وصل إلى مكتبها.

آسيا :عندما رأته قادماً نحوها، قامت إليه في لهفة وصافحته، وتحدثت إليه بصوت هامس: لا استطيع أن أعبر عن شكري وسعادتي، فكنت أتمنى حضور حفلاً (لعمر خيرت).

عمر: بل أنا الذى أشكركِ؛ لقبولكِ دعوتي.

_آسيا : أتمنى أن لا ترفض دعوتي غداً على الغداء.

_عمر : لا استطيع أن أرفض دعوتكِ.

حددت آسيا معه الزمان والمكان.

تمنت أن تمر الساعات بسرعة في اليوم التالى، حتى إنها كانت تنظر إلى ساعة هاتفها كل بضع دقائق حتى اقترب موعدها، فغادرت المكتب إلى المطعم؛ لتهذب مظهرها قبل لقاء عمر بعد يوم العمل الطويل، انتهت من ذلك، واتخذت مكانها المفضل بجوار النافذة، شعرت فجأة بدقات قلبها تتسابق، ونسمة لطيفة تهب عن يمينها تحمل عطراً جذاباً، فالتفت إليه فكان هو.....

ماجد.

_كنت متأكد أنني سألتقي بكِ اليوم.

_نظرت إليه في حيرة، هل هي تحلم؟، هل لازال ماجد معها وفي حياتها؟، لقد مات، وارتدت عليه السواد.

تحدث كثيراً، لكن لم تسمع حرفاً مما قاله، بينما تسأل نفسها عن حقيقة وجود عمر، هل أنه شخصية وهمية نسجها لها الخيال؟؛ تعويضاً عن غياب ماجد، أيهما حقيقة وأيهما خيال؟، ظلت برهة من الزمن، وكأنها دخلت في غيبوبة، انتبهت بعدها لحديث ماجد، الذي أكد لها أنه لازال يحبها ويفكر فيها، ولكن قلبها اليوم فعلاً أصبح مع عمر، رغم تشككها في وجوده، وقد تأكد ماجد إن حديثه معها الانَ بدون جدوى، فهمّت آسيا بالانصراف، فطلب منها أن تنتظر، وسوف يغادر هو المكان.

ظلت شاردة الذهن حتى وصل عمر بعد لحظات من خروج ماجد من المطعم، فصافحها وشعر بعلامات التغير على وجهها.

_ماذا بكِ؟، أراكِ على غير طبيعتكِ.

_لا شيء، أنا بخير.

_لا تكذبي احساسي بكِ، أتمنى أن لا أكون سبباً في هذا.

_صدقني لا شيء، فقط لقد قابلت شخصاً لم أرغب فى لقائه.

_علامات الاستفهام ترتسم على وجهه، شخص مممممم.

_لا داعي لهذا القلق، لقد انتهى الامر.

_أتمنى ذلك.

جلس أمامها وموجات الشوق تنبعث من عينيه العسليتينِ، فحاولت آسيا استقبالها؛ لتتأكد أن وجود عمر حقيقة واقعية وليس وهم.

قدم لهما النادل قائمة الطعام، فاختارا نفس الطبق مصادفة، فشعرت بالاقتراب منه أكثر، تجاذبا معاً أطراف الحديث وكأن شحنات سالبة وموجبة يلتقيان معاً؛ لتنسج بينهما خيطاً رفيعاً يحاول الربط بين قلبيهما مع سبق الإصرار والترصد.

أصرت آسيا أن تدفع فاتورة الطعام؛ لإنها هي من قدمت الدعوة، لكن رفض عمر بشدة، ووقف بينهما النادل في صمت ناظراً إليهما في ود. فلابد أن هذا المشهد تكرر أمامه كثيراً.

انتصرعمر في النهايه لرجولته رغم اعتراض آسيا، وغادرا المطعم.

آسيا: لماذا ترفضون أيها الرجال أن تقوم المرأة بدفع الفاتورة؟، فأصبحت هناك مساواة في كل شيء.

عمر: ينظر إليها بإعجاب؛ لعنصريتها تجاه بنات جنسها قائلاً: هذه جينات وراثية

شرقية، لا يمكن التخلي عنها.

آسيا: بل هي عنصرية ذكورية يا فندم.

حاول عمر أن يقوم بتوصيلها، ولكنها رفضت، ظن إنها غاضبة منه. فنفت ذلك موضحةً إنها ستمر لشراء بعض الاحتياجات قبل العوده للمنزل.

تركها في رعاية الله، وترك معها قلبه، وقد شعر باستجابتها لمشاعره دون البوح منها أو منه، وبات مطمئناً لهذا الاحساس، فهناك بادرة أمل له؛ ليستقر فؤاده بعد أن تحطم من قبل على أعتاب تجربة مريرة، انتهت بالطلاق بعد عدة شهور، حيث أقبل على الزواج عن طريق الأسرة، وبعد جلستينِ للتعارف في حضور الأهل، وبعد شهور قليلة تم فيها إعداد منزل الزوجيه انتهت بحفل زفاف فاخر في إحدى دور القوات المسلحة، أعقبها سلسلة لا تنتهي من المشاكل، التي لم يستوعب التكييف معها.

فهي ابنة لواء سابق، تعيش حياة مرفهة، ولا ترغب في تحمل مسؤلية الزواج والاهتمام به، ورغم تدخل الأسرتينِ كل بضعة أيام بعد شكاوي من الزوجة، التي تظن إنها مظلومة، لكن جاءت نهاية الألم والعذاب والحياة التي ظن إنها ستكون وردية.

نفض كل ذلك من ذهنه، وعاد إلى آسيا، التي بدأت تملك فؤاده، وتجعله يشعر بلذة الحياة من جديد، لا يعلم عنها الكثير، ولكنه سيعلم، وفور وصوله إلى منزله اتصل؛ ليطمئن على وصولها، ورحبت هي بهذه المشاعر، واستقبلتها استقبالاً جيداً، فأسعدها اهتمامه بها.

الفصل السابع عشر

لاحظ المحيطون بآسيا تغير حالها، فأصبحت أكثر هدوءاً، حالمةً معظم الوقت، شاردةً الذهن، تصلها مكالمات في مواعيد شبه ثابتة، بدأت التساؤلات النسائية بين منى وسارة "عواجيز الفرح" كما تطلق عليهما آسيا بينها وبين نفسها.

منى: يبدو أن هناك حب جديد.

آسيا : ماذا يعنيكِ أيها المتطفلة؟

منى: بنبرة مرحة وابتسامة تعلو شفاهها،اطمئن عليكِ لا أكثر.

تضحك سارة في خبث، غامزةً لآسيا بعينها، وفي نفس اللحظة يدخل إلى المكتب حاتم الخطيب الأسبق لآسيا، الذي نظر إليها نظرة اشتياق كعادته، وعلامات الحب واضحة في نظرة عينيه، التي تفضح أمره.

يسألها حاتم عن أحوالها، فترد ردوداً تقليديةً، ويرغب في المزيد حتى يرتوي من نغمات صوتها، التي تعيده إلى الماضي، فلا تنتبه إليه، وتشغل عينيها عنه بقراءة بعض الأوراق، فيشعر بالإحراج، ويحول دفة الحديث إلى سامح الجالس في نهاية الغرفة، ولكنه كان ينظر إلى هاتفه، وعلى ما يبدو أنه يقوم بمحادثة فتاةٍ ما عبر الرسائل الإلكترونية، فينصرف مطأطئ الرأس يتصبب عرقاً، وكأنه في أقصى أيام السنة حرارة.

تتصل بها إسراء، والفرحة تغمر صوتها؛ لتخبرها بتحديد موعد كتب كتابها هي وهشام، فتهنئها آسيا الشاهدة على حبهما منذ أيام الجامعة، ودعتها إلى الحضور؛

لتكون بجوارها في هذه اللحظة، ووعدتها آسيا بإنها ستكون بجوارها، فكيف تستطيع أن تترك أقرب صديقة لها في مثل هذا اليوم؟.

دخلت إلى والدتها وفى نبرات صوتها تبدو الفرحة والبهجة، وقبل أن تسألها أخبرتها بأمر صديقتها، ففرحت معها الأم، وتمنت لها الفرح القريب، بشكل تلقائي اتصلت بعمر؛ لتخبره وبعد أن سمعت نغمة الكول تون، التي كانت إحدى مقطوعات (عمر خيرت) الموسيقية، ترددت في إكمال المحادثة، وسألت نفسها عن سبب إخباره بهذا الأمر، فما بينهما هو مجرد مشاعر متبادلة، لم تصل بعد إلى مرتبة الحب أو الارتباط.

فجاءها صوت عمر من الجانب الأخر.

_في نفس اللحظة التي وصلني فيها اتصالكِ كنت أفكر في الاتصال بكِ.

_سبقتكِ إلى ذلك.

بل استقبلتى موجاتي الباحثة عنكِ، فلبيتِ النداء، هل تعلمين أن الإنسان عندما يفكر في أخر بإلحاح؟؛ يرسل المخ إشارات وموجات تصل إلى ذلك الشخص.

_أنه التخاطر الذهني، قرأت عنه من قبل.

تذكرت في نهاية الحوار سبب المحادثة, فقالت له:

_غداً سيكون كتب كتاب صديقتي إسراء، سأكون عندها بعد انتهاء عملي مباشرة.

_هل أنا مدعو معكِ؟

ضحكت آسيا ملء شدقيها، وقالت المرة القادمة.

أنهت المكالمة والسعادة تَغْمُر قلبها اصغير، فأمسكلت وسادتها، ودارت بها تتراقص وتتمايل على أنغام موسيقى قلبها،.توقفت فجأة؛ لدخول والدها إلى الغرفة دون أن تشعر، فارتبكت وأخبرته إنها سعيدة؛ لزواج إسراء وهشام، فابتسم وتنمى أن يراها مثل صديقتها، فامتنت له وقبّلته.

طلبت إسراء من آسيا أن تدعو عمر معها يوم الزفاف، فرفضت ولكن مع إلحاح وإصرار إسراء تنازلت عن رفضها، وخاصة أن الحفل ليس في المنزل مثل كتب الكتاب، وإنما في إحدى قاعات الأفراح.

اتصلت به؛ لتدعوه إلى الحفل، فوافق بشدة وترحاب، فيكفيه أنه سيكون معها، وأوضحت له إنها ستكون مع صديقتها في مركز التجميل، فطلب منها أن ترسل له المكان عبر الواتس آب؛ حتى يحضر إلى هناك، ويصحبها معه .

رفضت في البداية، ويمكنه الذهاب بمفرده إلى القاعة، فأقنعها بأنه لن يستطيع الذهاب إلى مكان لا يعرف أحد فيه، ربما ينظرون إليه وكأنه متطفل، ويعتقدون أنه مثل (عادل إمام) في فيلم "اللعب مع الكبار" حضر من أجل الطعام، ثم ضحك.ضحكته الجذابة، أنهت آسيا الخلاف، وانتهت المكالمة بتلبية رغبته .

انتظر عمر عند مركز التجميل مع عدد من السيارات، التي تنتظر العروسة التي لا يتذكرها جيداً، كانت مع آسيا في يوم المتحف، ولكن وقعت عيناه على آسيا، اختفى كل البشر من حولها، فلم يرى سواها حتى غادرت المكان، وتركت نبتة حب صغيرة في قلبه، بدأت تنمو بين ضلوعه، يرويها كل يوم ويهتم بها.

وبدأت الفتيات والسيدات يظهرن في الأفق، اتصل بآسيا، فلم تستقبل المكالمة، وبعد لحظات كانت أميرته الحسناء ملبية نداء قلبه.

نظر إليها بمزيد من الإعجاب، يرغب في هذه اللحظة أن يأخذها إلى أبعد مكان، وينفرد بها، ويقدم لها قلبه هدية متواضعة، متعبداً في محراب جمالها، فكانت ترتدي فستاناً زهرياً به القليل من الخيوط الذهبية، وغطاء رأس يميل إلى اللون الزهري المشبع باللون الفضي، لم تزيدها أصباغ التجميل جمالاً، إنما فقط أظهرت جمال عيونها، التي وقع في أسرها منذ اللحظة الأولى.

عطرها الفواح الذي يحمل الياسمين دغدغ مشاعره، فلم يستطيع أن يعبر عن احساسيه إلا بالصمت، وكأنه يتعبد في محرابها، وعندما تلاقت عيونهما شعرت بالخجل، فأطرقت عينها إلى هاتفها؛ لتهرب من عيونه.

كسر عمر الصمت بسؤاله عن مكان القاعة، فخرج صوتها تشوبه نبرة الخجل، فدلته على المكان، ثم بدأت تحدثه عن إسراء وهشام، وقصة حبهما وسعادتها البالغة لوصولهم إلى بر الأمان، وتحقيقهم ما تمنوه.

عمر : هل تعتقدين أن بعد هذا الحب ستنجح حياتهما الزوجيه؟

آسيا: بالتأكيد، فلديهم رصيد من المشاعر يكفيهم طوال العمر.

عمر: رصيد الحب ينفذ دوماً، ويبقى رصيد أخر من الود والاحترام، والمساحات المشتركة بينهما.

تذكرت آسيا تجربة عمر السابقة، التي أخبرها بها من قبل، بأنها كانت تقليدية، لم يسبقها قصة حب؛ فانتهت سريعاً، كما تذكرت ماجد، الذي أحبته بعنف أكثر من أربع سنوات، ولم تكلل بالنجاح.

لاحظ عمر تغير تعبيرات وجهها، حيث بَهِت إشراقها، فلمس يدها اليسرى في حب؛ فعاد الإشراق إلى وجهها، وكأن الشمس بثت أشعتها الذهبية عليها، وكانت

المرة الأولى التي يتجرأ على لمس يدها، فاحتار شعورها في هذه اللحظة، أترفض أم تقبل؟، وبعد لحظات وجدت يدها تتشبث بيده، فيقربها من شفتيه ويقبّلها؛ ليشكرها على قبولها ذلك.

ظن المدعون أن عمر وآسيا مخطوبانِ، وتمنى لهما تمام الزواج على خير، كانت آسيا تتركه من وقت لأخر؛ لتقف إلى جوار صديقتها ربما تحتاج إلى شيء، وطلبت منها إسراء أن تحضر عمر؛ لالتقاط صورة تجمعهم هي وهشام وعمر وآسيا.

انتهى حفل الزفاف وسط فرحة الأهل وسعادة العروسين، وغادرت (آسيا) بصحبة (عمر)، وهي تشعر بالثقة والأمان؛ لوجودها معه، وبعد أن أوصل أميرته، وقبل أن تغادر السيارة أمسك بيدها مرة أخرى؛ ليكتسب منها طاقة حب جديدة، فسمحت له بذلك، فهي أيضاً كانت في حاجة إلى هذه الطاقة. كما أن الطقس العام لحفل الزفاف كان حافزاً لهما لاستكمال الطريق.

طلب منها (عمر) في اللحظة الأخيرة أن تبلغ والدها أنه يرغب فى زيارتهم، ابتسمت وارتبكت، وغادرت السيارة، وركضت كالطفلة الصغيرة حتى وصلت إلى شقتها، وكانا والديها في انتظارها،لاحظ والدها السعادة الغامرة التي تطل من عينيها، فأعرب عن إعجابه بفستانها، وتمنى أن يراها في ثوب الزفاف.

الفصل الثامن عشر

تحدد موعد الخطوبة بعد أن قابل عمر والد آسيا، وقص عليه تجربته السابقة، اعترضت والدتها في بادئ الأمر؛ لمرور عمر بتجربة سابقة في الزواج، وكذلك لم يروق لها إسمرار بشرته، وبعدت أن أبدت الأم رأيها؛ لقت نظرة استنكار من آسيا ووالدها معاً.

بعد برهة تكلم الاب مع آسياعن أمر زواج عمر السابق قائلاً: هذه تجربة مر بها، وسيتعلم منها عدم الإخفاق في المرة القادمة، وسيحافظ على استقرار العلاقة بينكما، بالإضافة إلى أنه شاب محترم ذو أخلاق نبيلة، وعلاوة على ذلك يحبكِ.

لم يروق للأم هذا الحديث، وعندما بدأت الاعتراض على كلام زوجها، تركتهم آسيا في غضب.

أيام قليلة وكان موعد حفل الخطوبة، الذي اتفقت هي و(عمر) على أن يكون بمنزلهم وسط أفراد الأسرتينِ، حضرت والدته للمرة الأولى، فلم تحاول زيارتهم من قبل؛ لإنها تثق في اختيار ابنها رغم إخفاقه في الزواج الأول، والذي تحملت جزء كبير منه؛ لاستمرارها في الإلحاح عليه فى الزواج، رغم اعتراضه على بعض تصرفاتها، لكن في هذه المرة قررت أن لا تتدخل.

حضر أيضاً أخوه وزوجته وابنته الصغيرة، وبعض المقربين من أصدقائه والأقارب، كما كانت إسراء وهشام أول المدعويين، تعارف الأسرتينِ، وقدم عمر أميرته لوالدته، التي انبهرت بجمالها ورقتها، قبّلتها وشعرت بالارتياح الشديد لها، وقدم عمر لآسيا دبلة الخطوبة، وخاتماً أنيقاً من الذهب الابيض الذي تفضله، وكانت مفاجأة

بالنسبة لها، وزاد اندهاشها أنهما بنفس مقاس أصبعها، بالرغم من إنها لم تذهب معه عند الشراء، ولم يتفقا من قبل على تلك الأمور.

وضع بأصبعها حلقة الحب، التي ستربط بين قلبيهما إلى الأبد، ورد على دهشتها، بأنه يعرف جيداً مقاس أصبعها من أول مرة صافحها، تقدم الأهل للمباركة، والتقاط الصور وخاصة إسراء وهشام.

انتهى اليوم والسعاة تملأ المكان، وتغمر قلبيهما، وبدأت الخطوة الأولى الرسمية في مشوار حياتهما، وبدأ بعدها عمم بزيارة (آسيا)؛ لزيادة التعرف على أسرتها والتقرب إليها، وأحياناً تدعوه الأم؛ لتناول الغداء معهم، فتعرف على الأطعمة المفضلة لديهم، وسألته عن الأصناف التي يفضلها؛ لتتعلمها من والدتها.

دعت والدة عمر آسيا وأسرتها على الغداء؛ ليتعرفوا على حياتهم ومنزلهم، وترددت والدة آسيا في الموافقة، ولكن مع إلحاح أسيا وافقت، منزل عمر يبدو في نفس مستوى منزلهم تقريباً، يميل إلى البساطة والأناقة في نفس الوقت، أثنت آسيا على مذاق الطعام، ففرحت بكلامها حماة المستقبل، وبعد الانتهاء من الطعام انفرد عمر بها في الشرفة؛ ليحاول بث شوقه إليها، ويطفئ وهج قلبه، ويروي عينيه من نبع عينيها، ومرت ساعتان وكأنهما لحظات في زمن حبهم، اضطرت والدة عمر مقاطعة حديثهما حيث كانا كعصفورين يتبادلان أعذب الألحان معلنةً رغبة أسرة آسيا في الانصراف

فودعت آسيا حبيبها، وأخبرها والدها بعد ذلك أنهما اتفقا مع والدة عمر بضرورة الانتهاء من إجراءات تأثيث منزل الزوجية، ووافقت السيدة بترحاب، فهي أيضاً ترغب في رؤية ولدها في منزله مع أميرته.

تحولت زيارات عمر إليها إلى جَلْسَات يتم فيها اختيار بعض الأشياء الخاصة

بتأثيث المنزل، وزيارات لمعارض الأثاث كانت وجهتهم عن التفكير في الخروج معاً، وفي غضون شهور قليلة تم تجهيز المنزل المملوك لعمر، والذي استلمه أثناء خدمته في القوات المسلحة في إحدى المدن الجديدة، والقريبة من مصر الجديدة التي تسكن فيها آسيا، وكذلك عمر الذي يسكن في مدينة نصر.

تدخلت والدة آسيا عدة مرات في اختيارات آسيا وعمر للأثاث. ورفضت التنازل عن غرفة السفرة الكاملة، بينما كانت آسيا تريد طاولة متوسطة الحجم، تضم ستة مقاعد، ودولاب صغير يحمل بعض أدوات المائدة الغالية الثمن، واحتدّ الخلاف بينهما، وحاول عمر تلبية رغبة والدة آسيا، ووقفت آسيا معترضةً، فهي ترغب في تأثيث منزلها بما يناسب ذوقها، وليس بما يناسب والدتها، وبعد تدخل الوالد في الأمر حقق لآسيا رغبتها، ولكن لم تنتهي مشاكل آسيا مع والدتها، وكان عمر ووالد آسيا يحاولان طوال الوقت تهدئة النار المشتعلة دائماً.

طلبت آسيا من والدتها بعض الأموال في المرحلة الأخيرة قبل الزواج؛ لشراء بعض الملابس الخاصة بالعروسة، ولكنها رفضت؛ لأنها غالية الثمن، ولديها ما يكفى، فاشتعل غضب آسيا، وكظمت غيظها، وقامت بسحب من حساب لها بالبنك كانت تدخر فيه جزء من مرتبها الشهري، واشترت ما ترغب فيه من ملابس.

تم الانتهاء من التجهيزات، وكانت آسيا في هذه الفترة غير منتظمة في العمل، حيث كانت تحصل على إجازات متفرقة؛ لإنهاء مهام التجهيز. وكانت تأتيها اتصالات من زملائها تحمل عروضاً للمساعدة، ولم تتأخر إسراء عن بعض الاستشارات، التي تطلبها منها آسيا، وكانت تذهب معها أحياناً؛ لشراء بعض المستلزمات الخاصة بالنساء.

طلبت الأم من عمر أن يتم إقامة حفل الزفاف في قاعة بأحد الفنادق الكبرى؛ حتى تستطيع دعوة القريب والبعيد لحفل زفاف ابنتها، بينما تم الاتفاق بين عمر وآسيا على أن يتم الحفل في مكان صغير يشمل عدد صغير من الحضور، واقترحت آسيا أن يكون ذلك على متن باخرة، ويتم حجز عدد من الطاولات في رحلة نيلية ممتعة، وتناول العشاء والرقص على أنغام الموسيقى، ولكن بعد كثير من المفاوضات بين آسيا ووالدتها وعمر استقر الأمر على حجز قاعة صغيرة في إحدى الدور التابعة للقوات المسلحة، ولكن طلبت آسيا أن تكون التجهيزات بشكل مختلف.

استعدت آسيا في مركز التجميل ليوم زفافها المنشود، وقد زادها الثوب الأبيض جمالاً ورونقاً وبهاءً، والأمير عمر أنهى ما يقوم به الرجال أيضاً في هذا اليوم، وفي لهفة وشوق ذهب؛ ليأخذ أميرته الجميلة.

وصل في الميعاد المناسب حائر العينين في ارتقاب خروج الأميرة، وقرر عدم التنازل عن مقود السيارة كما يفعل الكثير، حيث يجلس العروسان في الخلف، ويقود أحد الأصدقاء، أو يتم تأجير سيارة فارهة للزفاف.

لكن الفارس عمر أراد أن يحمل أميرته الحسناء على فرسه، ويهرب بها بعيداً عن عيون الناس، ومرت الدقائق ببطءٍ حتى خرجت إسراء تحمل له البشرى، فهدأت دقات قلبه، واتجه إليها؛ ليصطحب عروسه، وكاد ضياؤها يخطف بصره في هذه اللحظة، فالثوب الأبيض والطرحة البيضاء التي أصرت أن تضعها فوق حجابها، وتتخفى بها جزءاً من وجهها جعلتها كالشمس المشرقة تخفي ما حولها من شدة الإشراق، وكاد عمر أن يركع أمامها، وسيطر عليه هذا الشعور لحظة رؤيتها، ولكن التصفيق الحاد الذي قام به الأصدقاء المنتظرين معه أفاقه مما ذهب إليه خياله، فلم يسعه إلا أنه قبّل يدها، فاحتدّ التصفيق، وكأنهم يتابعون رواية غرامية، وقامت السيدات الحاضرات بالزغاريد من داخل المركز وخارجه، هرب بأميرته من

أمام الجميع مستقلاً سيارته، ومعرباً لها عن رغبته في الهروب إلى عشهما الصغير تاركين الاحتفال والناس جميعاً، فهو لا يعنيه اليوم سوى وجوده معها والفوز بها.

تلاعبت الفكرة في رأس آسيا الشقية، وأوشكت على تشجيعه لتنفيذها. ولكنها انتبهت لاسم والدها على الهاتف، كان يتحقق من سبب تعطلهما. فأوضحت له أن التأخير كان من مركز التجميل، فهم دائماً لا ينتهون من عملهم في الوقت المحدد، وأنهم في طريقهم للقاعة.

الفصل التاسع عشر

نهل عمر وآسيا من نهر حبهما، ولا يصلا إلى حد الاكتفاء، فكانت آسيا في اليوم الأول تشعر بالخجل، رغم علاقتها السابقة بحاتم وماجد، التي لم تصل إلى غرفة النوم، فشعرت إنها دخلت من باب الأحلام مع عمر ورومانسيته الحالمة، التي أنسته إخفاق تجربته السابقة. وفي وجود أميرته التي أيقظت مشاعره الخامدة من مكمنها، كما حاولت هي أيضاً أن تستحضر كل المعلومات، التي قرأت عنها في الهوى والعشق، وما كان يشرحه لها ماجد نتيجة خبرته الكبيرة مع النساء وسفره للخارج عدة مرات، ومروره ببعض العلاقات بنساء مختلفات أكسبه خبرة عظيمه نقلها إلى آسيا، وقررت آسيا استغلال كل ذلك؛ لإسعاد وإمتاع فارسها ومعشوقها، الذي فاق بحبه لها فارس الأحلام.

بعد أيام من الشهد اللذيذ، التي كان يتخللها زيارات من الأسرتين؛ للأطمئنان عليهما، والتهنئة من الأصدقاء، وقد حضر أيضا زملاؤها في العمل؛ لتهنئتها، وكان على رأسهم حاتم، الذي عرض عليها في وقت سابق لخطوبتها لعمر بعودة المياه لمجاريها، ولكنها رفضت بشدة، فأعلن خطبته بعدها بعدة أيام، ولكنه حضر اليوم؛ ليتأكد من سعادة آسيا مع من اختاره قلبها وفضله عليه.

قلقت أسيا؛ لوجوده مع الزملاء، وتوجست أن يعلن بين طيات كلامه عن علاقتهما السابقة، أو يلمح عن علاقتها بماجد التي كان يعلمها جيداً. تبادلت مع حاتم بعض النظرات في محاولة لتحذيره من ذلك، ومع حرقة قلب حاتم وعينيه التائهتين أعلن عن موعد زواجه أمام الحاضرين، ودعوتهم جميعاً بما فيهم آسيا وعمر، فهنئه الجميع وخاصة عمر.

الذي علق "وهو يضم آسيا إلى جواره": أهذه غيرة منا؟، نحن السابقون وأنتم

اللاحقون.

_بالتأكيد حبكما شجعني على سرعة إتمام زواجي أنا أيضاً.

حضرت أيضا إسراء وهشام، وتم التعارف أكثر بين هشام وعمر، ولكنه لم يصل إلى حد الصداقة، انتهت الإجازه، ولكن لم ينتهي حبهما، الذي بدأ في النمو بوجودهما معاً.

عاد كل منهما إلى عمله في حزن شديد لساعات الفراق، التي سيبتعد فيها كل منهما عن الأخر، وفور وصول آسيا إلى عملها اتصلت به؛ لتطمئن على وصوله، وأهدته بعض كلمات الحب التي تشعر بها لغيابه، وانتهت مكالمتها بقبّلة لاسلكية وسط اندهاش المحيطين وغيرتهم، والتي لم تنتبه لنظراتهم إلا بعد إنهاء المكالمة.

علق كل منهم على الموقف، ولم تهتم آسيا كثيراً بذلك، انتهت من عملها في اليوم الأول، وغادرت إلى منزل والدة عمر التي دعتهم للغداء، فلم تستعد آسيا بعد لتنظيم حياتها بين العمل والمنزل.

وصلت آسيا منزل والدة عمر، وبدأت في مساعدة والدته، التي بدأت تناديها ماما؛ لشعورها بحبها لها ومعاملتها الطيبة، وقد أوشكت على الانتهاء من الأصناف التي يفضلها عمر، وتمنت أن تشتهيها آسيا أيضاً، وسعدت آسيا بهذا الشعور، ووصل عمر فور الانتهاء من إعداد الطعام، وقبّل زوجته في شوق، وأخذها بين أحضانه، وكأن روحه ردت إليه بعد غياب.

قبّل أيضاً والدته، وأخذته هي في حضنها، وكأن روحها هي أيضاً عادت إليها، وقبل أن تنهمر عيون الأم بدموع الاشتياق إلى ولدها الحبيب هبت من مكانها مسرعةً؛ لتخفي دموعها قبل أن تنتبه إليها آسيا أو عمر لانشغالهما في الحديث عما دار في

عمل كلا منهما، وأعدت السفرة بأشهى أنواع الطعام، وأثنت آسيا على ما صنعته الأم من طعام وهي تقدمه لفم حبيبها عمر، وبادلها هو ذلك أيضاً، فقد اعتادا على هذه الطريقة منذ زواجهما، فيطعم كلا منهما الأخر الحب والأشواق مع الطعام، بل أحياناً كانت تقوم آسيا في أول بادرة منها بإطعام حبيبها، كما تطعم العصفورة صغارها من فمها إلى فمه، ولكن لم تفعل ذلك اليوم؛ احتراماً لمشاعر الأم، واكتفت بإطعامه بيدها، ولم تشعر آسيا بضيق الأم من ذلك، ولكنها كانت تنظر إليهما بسعادة، وتدعو لهما باستمرار الحب بينهما، فهي لا تطلب من دنياها سوى سعادة ابنها وأخيه محمد، وبعد الانتهاء من الطعام استأذن عمر والدته في الدخول إلى غرفته هو وآسيا؛ ليأخذا قسطاً من الراحة، ودخلت الأم أيضاً غرفتها بعد المجهود الذي بذلته في إعداد الطعام، فهي أيضاً في حاجة لبعض الراحة.

انهارت آسيا فور دخولها غرفة عمر؛ لشدة اشتياقها إليه، ولم يستطيع عمر إخماد النار المشتعلة داخله، فعاشا معاً في محراب الحب، يحاول أن يطفئ كلا منهما لهيب شوقه للأخر، فغابا عن الحياة، ووصلا لقمة النشوة في غفلة من الزمن، وقد شعرت آسيا بعد ذلك بالخجل؛ لأنها اضطرت للاغتسال في منزل والدة عمر، فالأمر يبدو محرجاً بالنسبة لها، فاقترح عمر عليها أنه سيجلس مع والدته في غرفتها بعض الوقت حتى تنتهي هي.

انتهت آسيا من حمامها سريعاً، وأخفت آثار كل شيء، وارتدت ملابسها وغطاء رأسها أيضاً؛ لإخفاء شعرها المبلل، وأعلنت لعمر الانتهاء عبر هاتفه المحمول، فاصطحب عمر والدته خارج الغرفة؛ ليجلسا مع آسيا وقام هو؛ ليأخذ حمامه دون الشعور بأي خجل، ثم أعد لهم الشاي بالنعناع، الذي تفضله أمه من يديه، ودعتهم الأم للمبيت معها اليوم، فرفض عمر في رقة وذوق، ووعدها بالمبيت معها في نهاية الأسبوع، ففرحت الأم بذلك، وودعتهما بدعواتها لهما بالسلامة والسعادة

وصلاح الحال، وتمنت أن ترى أحفادها من ذرية عمر وآسيا، وقد اطمئنت على عمر عندما لاحظت الود والألفة بينه وبين زوجته.

بعد أيام دعت والدة آسيا ابنتها وزوجها؛ لتناول الغداء عندها، وتقابلت آسيا مع عمر في منزل آسيا، وتبادلا التحية والقبّلات، ولكن الأم علقت على هذه القبّلات، التي استقبلت بها آسيا زوجها، وبرغم غيظ آسيا من ذلك إلا إنها التزمت الصمت؛ حتى لا ينقلب اللقاء إلى شجار. وبعد الانتهاء من الغداء وما يليه غادر عمر وآسيا إلى منزلهما.

بدأت تساؤلات كلا من الأسرتين عن وجود حمل، وبدأ القلق والتوتر يتسللان إليهما، فطلبت من عمر الذهاب إلى طبيب؛ ليضعوا أيديهم على سبب التأخر، ورفض عمر الإسراع في ذلك، فلم يمر عام على زواجهما، كما أن الأطباء سيدخلوهما في دوامات لا حصر لها، ومازال الوقت مبكراً.

بعد احتفالهما بمرور عاماً على زواجهما، والذي احتفل به عمر بدعوة الأسرتين في منزلهما، وإعداد وليمة قامت بها آسيا، وساعدها عمر. فكان حفلاً بهيجاً، سعد به الجميع، وأعربت زوجة محمد أخيه عن غيرتها من آسيا مازحةً؛ لحب عمر لها، ووجوده إلى جوارها دوماً، بينما محمد زوجها مشغول عنها دائماً، ولا تراه إلا قليلاً، وأوضحت لها آسيا أنهما لازالا في بداية زواجهما، وربما بعد سنوات يفتر هذا الحب، وهذه سنة الحياة.

رشحت إسراء اسم طبيب أمراض نسا لصديقتها، والذي تابع معه حملها الأول، وأنجبت على يديه ابنتها شهد؛ لتعرض آسيا عليه حالتها، وبعد مناقشات طويلة مع عمر وافق على ذلك، فأخبرته إنها سوف تذهب مع إسراء، وبعد الكشف والفحوصات أعلن لها الطبيب سلامتها، وطلب منها الطبيب أن تخبر زوجها

بضرورة القيام ببعض الفحوصات المعملية التي أوضحها، ولكن عمر رفض بشدة ،حاولت معه بدلالها وقبّلاتها، ورغبتها في طفل منه يحمل ملامحه الوسيمة ورجولته، وكل شيء أحبته فيه، ورغم أن هذا الأمر محرج وصعب على أي رجل إلا انه استجاب إلى رغبتها معلناً لها إنها تكفيه في حياته، فهي أميرته وحبيبته وابنته.

قام عمر بالتحاليل على مضض، وأعطى النتائج لزوجته، التي قامت بدورها وعرضتها على الطبيب في الزيارة التالية، والذي أوضح لها سلامة زوجها أيضاً، وليس أمامهما إلا الصبر حتى يأذن الله.

ونقلت إليه الخبر فور وصوله من العمل، فظهرت علامات الانتصار على وجهه قائلا: أتشكين في قدرتي على الإنجاب؟

_"ضحكت" قائلة: لم أشك في شيء، فهذا طلب الطبيب.

_إذنَ هيا لأخبركِ ما هي قدراتي.

هربت منه إلى المطبخ، ولكنه لم يتركها، وحملها بين يديه قائلا: هناك طعام أخر أهم من هذا.

الفصل العشرون

ازدحم الطريق في وقت الذروة بمصر الجديدة، فقررت آسيا الدخول إلى أحد الشوارع الجانبية لسهولة الوصول إلى منزل والديها، ثم تنبهت أنه الشارع الذي يسكنه ماجد، فشعرت ببعض الحنين إلى الماضي، وعندما اقتربت من المنزل استحضرت بيت الشعر (لأمرؤ القيس):

أمر على الديار ديار ليلى *** أقبّل ذا الجدار وذا الجدارا

فضحكت بشده، ثم أصابتها دهشة أربكت قيادتها، فاستوقفها رؤية شبح يحمل صورة ماجد يقترب منها، فظنت أنه خيالها يصوره لها، ولكنه يقترب أكثر فأكثر وعلى وجهه ابتسامة.

نزلت من سيارتها، فإذا به حقيقة تسير على قدمين، فأقبل عليها، وارتسمت البهجه في عينيه؛ لرؤيتها ومد يده؛ ليصافحها، فاستسلمت للمصافحة، ويعلو وجهها علامات الوجوم.

_كيف حالكِ؟، علمت إنكِ تزوجتي.

_في أحسن حال.

_أتمنى لكِ السعادة.

_انتهيت من سفركَ؟

_بل أنا في إجازة، لمرض والدتي.

_شفاها الله وعافاها.

_إنها تسأل عنكِ، وتندم على تفريقها بيننا، تود لو اتصلتي بها.

_لا داعي للندم، فأنا أعيش أفضل قصة حب تخيلتها في حياتي.

_أتمنى لكِ كل خير، وأشكر الظروف التي جمعتنا اليوم.

ابتسمت وحيته وغادرت

راودتها الأفكار أن تتصل بوالدة ماجد؛ لتسأل عنها، ولكنها لم تعرف بعد هل تزوج ماجد أم لازالت والدته محتفظة به في خزانتها؟، حرضها فضول القطة فور وصولها منزل والدتها بعد التحيات والسلام والاطمئنان على ما تعده الأم من الطعام، ثم أخرجت مفكرة تحمل بعض أرقام الهاتف، وتوصلت إلى رقم الهاتف، الذي كانت تحفظه عن ظهر قلب، فاتصلت بعد تردد، ووصلتها الإجابة، فأعلنت عن اسمها، فوجدت الترحيب في صوت والدة ماجد معربةً عن رغبتها في رؤيتها، وأخبرتها بوجود (ماجد)؛ لمرورها بأزمة صحية، فعلى ما يبدو أن ماجد لم يخبر أمه بتلك المقابلة.

أخبرتها آسيا بزواجها، ووعدتها بزيارة قريبة؛ للاطمئنان على صحتها. وفهمت آسيا من كلامها أن ماجد لم يتزوج بعد، وحاولت الأم أن تخبرها بندمها على مافعلت بشكل مستتر، موضحةً مايمر به ماجد من تعاسة وحزن.

تجاهلت آسيا كل ذلك، وعادت إلى حبها وزوجها، فلا داعي للبكاء على اللبن المسكوب، ورغم أن هذا الكلام جعلها تشعر ببعض الغرور، ورددت لنفسها كلمات أغنية "لطيفة"، التي أحبتها كثيراً (أنا ماتنسيش)، وخاصة بعدما تذكرت أيضاً موقف حاتم، الذي لم يتقبل فكرة ضياعها منه.

انزعجت آسيا فور وصول زوجها من عمله إلى المنزل، ويبدو على وجهه علامات الإعياء، فجلست إلى جواره؛ لتطمئن عليه، فأخبرها إنها يشعر بضيق في التنفس، وقد أحضروا له الطبيب في العمل، وقام بإسعافه، وطلب منه بعض التحاليل والأشعه، فزاد ذلك من قلقها وانزعاجها، وانقبض قلبها؛ خوفاً على حبيبها.

فطمئنها عمر،وقال لها أنه مجرد إرهاق في العمل، حيث توجد بعض المشاكل المتعلقة بالعمل، التي عرضته للضغط النفسى، ولم يكن عمر من الرجال الذين يتحدثون عن عملهم مع زوجاتهم، ولكن آسيا طلبت منه عمل التحاليل والأشعه اللازمة على الفور، فوافقها على ذلك؛ ليهدئ من رَّوْعها.

قامت بالإلحاح على عمر؛ للقيام بما طلبه الطبيب، فأخبرها أنه أصبح بخير، اتصلت آسيا قبل مغادرتها العمل بعمر؛ لتخبره أنها ستذهب اليوم عند والدتها؛ لقضاء بعض الاحتياجات لها، وربما تتأخر، فلم يمانع. واقترح أن يذهب هو أيضاً إلى والدته؛ ليتناول معها الغداء، فلا يرغب في وجوده بمنزلهما بدونها، فضحكت آسيا لهذا الشعور، ووعدته إنها لن تتأخر عليه، وفي طريقها لوالدتها تلاعب الشيطان بعقلها، وأقنعها أن تزور والدة ماجد، فوجدت نفسها أسفل المنزل، وتطرق الباب.

ولم تندهش عندما فتح لها ماجد الباب، والذي كبح جماح نفسه من الإعلان عن رغبته في أخذها بين ذراعيه، فسلم عليها بأدب واحترام، ورحب بها وذهب؛ ليخبر والدته بقدومها، فاستقبلتها بترحاب وقبّلات، وود ماجد لو يفعل هو ذلك أيضاً، ولكن ذكر نفسه إنها أصبحت امرأة متزوجة، وتركهما؛ ليعد لهما مشروباً، وتذكر وجود عصير البرتقال الطازج، الذي أعدته والدته، وتحبه آسيا، فلم ينسى أبداً شيئاً تحبه، قدمه لها؛ طمعاً في العفو والمغفرة، ونظرات عينيه تطلب السماح منها، لم تمضي آسيا وقتاً كبيراً؛ حتى لا تتأخر عن والدتها، فقامت وودعتهما، وطلبت منها السيدة أن تتواصل معها، وخاصة آسيا ماجد سيسافر بعد أيام قليلة.

أنهت آسيا مهمتها عند والدتها أيضاً، واتصلت بعمر، فأخبرها أنه في طريقه إلى المنزل، وطمئنته إنها ستغادر الآنَ، وأمضت طريقها في التفكير تارة حول علاقتها بماجد، وهل مازال يحيا بداخلها حبه ولو جزء صغير؟، وتارة أخرى عن حبها لعمر، الذي ملأ الكون حولها، وإنها لن تسمح لتلك النطفة الباقية من ماجد أن تدمر حبها لعمر أبداً.

ثم استرسلت في ذكريات أول لقاء لها بعمر ويوم الخطوبة ويوم الزفاف، وكأنها تحاول أن تزحزح ماجد؛ لتملأ ذاكرتها بعمر، وانتهت إلى الحقيقة الجميلة عند وصولها المنزل، وكان عمر في استقبالها بالأحضان والقبّلات، وكإنها عائدة من سفر طويل، أحضرت معها بعض الحلوى الشرقية، التي يحبها عمر، وجلسا يتناولانها بطريقة العصافير التي راقت (لعمر)، فكانت دائماً تبتكر الأشياء؛ لتجدد بها علاقتهما؛ حتى لا تصاب بالملل، ولا يعترض عمر على ما تقوم به، بل يشعر بسعادة الاقتراب منها في كل الأحوال.

لم تنسى آسيا الاتصال بوالدة ماجد في أيام متفرقة، وعلمت منها أنه سافر إلى عمله، وكانت تطمئن على صحة والدته؛ لتثبت لنفسها أن موضوع ماجد انتهى بالفعل، وإن علاقتها سوية مع والدته.

جاءها اتصال من هاتف عمر، لكن الصوت ليس صوته، فانزعجت وأخبرها أنه حسام زميل عمر بالعمل، وأن عمر أصيب بنوبة ضيق في التنفس، وتم نقله إلى المستشفى، وأنه بخير الآنَ.

غادرت المنزل في لهفة متجهة إلى المستشفى، ووقع بصرها المتألم على زوجها تحت أجهزة التنفس الصناعي، فكادت تصرخ، فبادر حسام بتهدئتها وطمئنها، وكان عمر نائماً، فأخذها حسام؛ لمقابلة الطبيب، الذي أخبرها أنه تم عمل التحاليل اللازمة

والأشعه المطلوبة للصدر، ولم تظهر النتيجه بعد.

عليها التحلي بالصبر، وسيسمح لها بالبقاء مع زوجها حتى يتبين الأمر. اتصلت بوالدها والتوتر في صوتها؛ لتخبره بما حدث، فأصر على الحضور؛ للاطمئنان بنفسه، وجلست بجوار عمر ممسكةً بيده تقبّلها، والدموع تجد طريقها للهروب من مقلتيها، وتردد دعواتها حتى تمر هذه الأزمة على خير، ودخل عليها والدها، فأخذها في حضنه مربتاً على ظهرها، وقبّل جبهتها، وسألها عن اسم الطبيب المسئول عن الحالة، وتركها؛ ليطمئن منه على حالة عمر.

وقد ظهرت نتيجة التحاليل عند وصول والد آسيا، فأخبره إنها غير مطمئنة، وأنه يعانى من قصور في الشريان الرئوي، فاستقبل الأب الخبر بآسف شديد، واستفسر من الطبيب عن إمكانية العلاج.

فاق عمر ليجد دموع آسيا كادت أن تغرق الغرفة، فقال لها مازحاً:

_أغرقتي الغرفة بدموعكِ.

_"فابتسمت لسماع صوته رغم دموعها المنسابة" قائلةً: لا تقلق، فأنا معي قارب صغير سأحملك معي فيه.

فضحك رغم شعوره بألم في صدره مقبلاً يدها، التي لازالت متشبثةً بيده، وصل الأب والطبيب إلى الغرفة، فسلم الأب على عمر، وطمأنه إن الأمر بسيط، وعليه فقط أن يلتزم بالعلاج، ونحمد الله أنكَ غير مدخن.

عمر: هل استطيع العودة إلى المنزل الآنَ ؟

الطبيب: يجب أن تمضي الليلة تحت الملاحظة.

آسيا: لا استطيع تركه هنا وحده.

أطلق الطبيب والأب ضحكاتهم، وقدر الطبيب مشاعر الزوجة الحنون

_سأسمح لكِ بالبقاء إلى جواره حتى الصباح.

شكرت آسيا الطبيب، ولم يستطيع الأب الاعتراض رغم إشفاقه على ابنته، ورغبته في أن يبقى هو بجوار عمر، وتغادر هي إلى منزل والدتها، ولكنه يعلم جيداً أن عمر متعلقٌ بها، ولن يقبل برحيلها.

مرت الليلة عليهما يتذكران مواقفهما معاً، ويحاولان إبعاد أي موقف محزن عن ذاكرتهما، وترجاها بعدم إخبار والدته بما حدث، فهو مشفق عليها من القلق، ووافقته آسيا الرأي، وتناوبت عليها الممرضة المسئولة لمتابعة الحالة، وفي كل مرة تسأل عمر عن سب نظراته إليها، فيضحك قائلا:

_لا أرى في الكون غير أميرتي.

_أرى في نظراتها إعجاباً بكَ.

-"يضحك عمر مجدداً": إنها حريتها الشخصية.

_إن لم تجد منكَ القبول لما تجرأت على ذلك.

_أتغارين علي يا أميرتي ومالكة فؤادي؟

تحاول تقبّله، ولكن تلك الأجهزه منعتها من التمكن من شفتيه، انتهت الأزمة، وعاد إلى المنزل، واستبقاه الطبيب بالمنزل عدة أيام، زارته والدته، وأخيه محمد بعد أن أخبرها محمد عن مرضه، ولكن لم يقلقها بأمر المستشفى، وبدأ الانتظام في

العلاج، فتحسنت حالته، وقامت آسيا بإجازة؛ لرعايته والاهتمام به.

وعاد كلا منهما للعمل متمنينِ أن لا تتكرر هذه الأزمة مرة أخرى. ونصحت آسيا زوجها بعدم التعرض لضغوط العمل بقدر المستطاع، ووعدها بذلك، وعادت الأمور لمجراها الطبيعي، وتذكرت آسيا وعدها لوالدة ماجد بالسؤال عنها، وأثناء وجودها بالعمل أتتها الفكرة، فاستغلت انتهائها المبكر من العمل المكلفة به، واتصلت بالسيدة التي بادرتها بالعتاب على تأخرها في السؤال عنها، فأخبرتها بمرض زوجها، ودخوله المستشفى، فحزنت السيدة؛ لسماعها الخبر.

بعد أيام قليلة استيقظت آسيا في الصباح، فشعرت بعدم انتظام تنفس عمر؛ مما أيقظه فجأة، فأحضرت له على الفور البخاخة، التي وصفها له الطبيب؛ لاستخدامها عند الشعور بضيق التنفس، حاول بعدها القيام من الفراش فلم يستطع، فترجته أن لا يغادر إلى إلعمل، وستبقى معه، وعليه الاتصال بالطبيب، ووافق عمر؛ لشعوره بالتعب حقاً، وانتظر بعض الوقت؛ حتى لا يزعج الطبيب، بعد أن قامت آسيا بتجهيز الفطور، وقدمت له الدواء.

وصل الطبيب إليهم؛ لعدم استطاعة عمر الذهاب إليه، وبعد الكشف عليه، طلب منهم الذهاب للمستشفى، وتم وضع عمر من جديد تحت جهاز التنفس الصناعي؛ لصعوبة وصول الأكسجين إلى الرئة.

قامت آسيا بالاتصال بوالدها ومحمد وسط حالة من الانهيار أصابتها، وأفقدتها الوعي، وبوصول والدها، أخبرها الطبيب أنه اضطر إلى حقنها بمهدئ، ولكنها ستكون بخير، وطمئنه عليها.

وبخصوص عمر أخبره أن الوضع غير مستقر، فوجدنا بعض الجلطات بالرئة اليسرى، وهو الآنَ تحت جهاز التنفس الصناعي، وتضخ له المحاليل المزودة بمادة

لإذابة الجلطات.

وصل محمد، وعاش حالة من الحزن والغم مع والد آسيا على ما أصاب كلا منهما، يبتهلان إلى الله بدعواتهما، ورفض محمد أن يخبر والدته؛ خوفاً عليها، وكذلك لم يخبر والد آسيا زوجته، وحاول الأب صد شعور انتابه بالانقباض، وارتجف محمد فجأة، وقضي الأمر، واسترد الله وديعته، ورحلت روح عمر في هدوء وسلام لخالقها عن عمر يناهز سبعة وثلاثين عاماً.

الفصل الواحد والعشرون

بخلت الدنيا على آسيا بالسعادة والحب والاستقرار، الذي كانت تتمناه منذ نعومة أظافرها ، فصفعتها على وجهها صفعةً أفقدتها توازنها وإيمانها بكل شيء، وجعلتها تتخبط بين الجدران كطائرمذبوح بقسوة، يلفظ أنفاسه الأخيرة.

فأصبحت بين ليلة وضحاها متمردةً على هذه الحياة بكل قواعدها، قواعد اللعبة التي التزمت بها، وبعد ذلك فقدت روحها وأملها في الحياة الذي ضاع؛ لتلتزم بتلك القواعد في فترة الحداد على زوجها، وارتدت الملابس السوداء وهي في حالة ذهول، ولكن أحياناً تجد لديها رغبة في خلع غطاء رأسها وهي تقود سيارتها، وتطلق شعرها الأسود المائل إلى الحمرة. وتشعل سيجارتها، وقد بدأت تقتني علبة سجائر بحقيبتها، بعد أن طرأت برأسها تلك الفكرة كأحد أنواع التمرد على المجتمع، الذي يبيح للرجل ما لا يبيحه للمرأة.

وتستمع إلى الأغاني الصاخبة في سيارتها، وتذهب بها بعيداً في طرق لا تعرفها، ثم تعود مرغمةً إلى منزلها وإلى قواعدها، وأحياناً ينجذب إليها وإلى تمردها أحد الشباب، فيذهب ورائها بسيارته محاولاً مغازلتها، فلم تهتم بكل هذا، ويتكرر ذلك كثيراً.

أصر والدها أن تترك الشقة، وتعود إلى شقة أسرتها، ترددت في الموافقة. ولكن والدها ترجاها؛ خوفاً عليها، بينما خافت الأم من كلام الناس، الذي تعمل له ألف حساب، ولو حتى على حساب ابنتها.

كانت ترتدي غطاء الرأس عند وصولها منزل أسرتها أو عملها، كما كانت تزور والدة

عمر، التي أصبحت في حالة من الإعياء بعد وفاة عمر. طلب منها والدها الإقلال من زياراتها لوالدة عمر؛ حتى لا تسوء حالتها. فكلما رأتها ستتذكر ابنها، ويضغط ذلك على أعصابها.

يوماً ما بعد عودتها من العمل، جاءها اتصال أدهشها وأرجف قلبه، أنه ماجد. ترددت لحظات في الرد عليه، وجاءها صوته، معزياً لها ومشفقاً عليها، وقد حضر في إجازة، وعلم من والدته ما حدث.

كان شعورها مضطرباً في تلك اللحظة، وتوالت الذكريات أمام عينيها بشكل غير مفهوم، مشاهد لعمر ومشاهد أخرى لماجد، أحدهما موجود والأخر تركها، وقد تبدل الحال، فقد تنازل عنها ماجد من قبل، وأعادها عمر للحياة، التي ظنت إنها انتهت مع أخر خطوه لماجد بعيداً عنها. واليوم خرج عمر من باب الدنيا، وأغلق الباب وتركها، وها هو ماجد يظهر من جديد.

ووسط تلك الحيرة وصلت إلى منزلها، ودخلت إلى غرفتها، أشعلت سيجارتها، ودخلت عليها والدتها؛ لتخبرها بموعد الغداء، فبدأ الشجار؛ لمشاهدتها السيجارة في يدها، انتهى بمغادرة آسيا المنزل، والاتصال بماجد؛ لمقابلته، وعندما اشعلت سيجارتها في مكان عام أمامه لم يعترض، فهو أيضاً يدخن، ولكن سابقاً كانت آسيا تنصحه بالإقلاع عن التدخين.

قدر حالتها النفسية، وتحدثا معاً طويلاً، وشكيت له من الأيام ومن والدتها. وحاول تهدئتها، ومع اتصالات عديدة من والدها لم ترد عليه، طلب منها ماجد ضرورة العودة إلى المنزل، ومحاولة تجنب والدتها؛ حتى لا تثير قلق والدها عليها.

بدأت نظرات زملائها في العمل تحوم حولها كنظرات الذئاب لفريستهم. بينما كان على مشفقاً عليها، ويدعو لها دائماً بالهداية، أصبح مظهرها وملابسها تثير

من حولها، فهذا سامح يحاول أن يلمس يدها، أو يتقرب منها كلما أتيحت له الفرصة ،فكان عطرها الفواح الناعم دائماً يسلبه عقله. حتى أنه يوماً أخبرها بإنها كانت معه في الحلم، فضحكت وشعرت بالانتصار لأنوثتها، التي كانت تراهن دوماً نفسها أنها تستطيع أن تصل إلى أي رجل تريده، ولم يكن سامح مَن تريد، ولكن لا مانع من اللعب معه، ولم تنقطع اتصالاتها بماجد وخاصة بعد استقراره في مصر بعد مرض والدته الشديد، الذي أدى إلى وفاتها، حيث مر بلحظات سيئة، ولم يكن بجواره سوى آسيا، ترأف بحاله وتواسيه، وظل بعد الوفاة أياماً لا يغادر فيها المنزل، ويوماً ما لم يجيب على اتصالاتها، فوجدت نفسها أمام منزله؛ لتطمئن عليه؛ خوفاً من أن يكون حدث له مكروه.

اطمئنت عندما فتح لها الباب، فالألم والحزن يسكن وجهه، فأشفقت عليه، فأخذته بين ذراعيها كأم حنون، فسقطت من عينيه قطرات من الدمع الملتهب، لا تدري أن كان حزناً على فراق والدته، أم ندماً على التنازل عنها يوماً ما.

فما شعرت إلا بشفتيه وهي ترتوي منها، وتنهل ما افتقده سنوات، ثم اختفى بداخلها كالجنين، الذي يحتمى برحم أمه، وكانت المرة الأولى الذي يلتقي معها بعد زواجها، فوجد الحياة التي بحث عنها سنوات عمره، والرجفة التي لم يصل إليها إلا مع آسيا، فكان كالطفل التائة في الصحراء، ووجد الماء الزلال والعسل الشهي، فغاص فيهما، ولم يشعرا كم من وقت مضى.

شعرت هي كإنها عروسة في يوم صباحيتها، أنهكها الحب والعشق، ولم تخجل مما حدث بل ابتهجت، وشعرت إنها لازالت على قيد الحياة. غادرت منزل ماجد، وتشعر أن ماء المحياة روى عطشها، وأشبع شبقها لم تكن تعلم إنها تخطو إلى السقوط في الهاوية، وستسفر هذه اللقاءات عن نطفة ستستقر بداخلها؛ سعدت بوجودها، ستصبح أماً من حبها الأول، ولكن عصفت بها الحياة عاصفتها الثانية،

وصفعتها من جديد.

الفصل الثانى والعشرون

إن الإنسان لا يأتيه الفرج، ولا تدركه النجاة إلا بعد أن يخفق أمله في وجهه، كان يرغب فيها بشدة، ولا يتمناها له الله، وبقدر شدة الكرب والألم يأتيه الله الأفراج.

طرقت آسيا أبواب النجاة من عشقها، الذي بات مرضاً، ظنت أنه لا دواء له، حتى لاح لها شعاع شمس من بين ثنايا ما تقرأ، فبدأت تقرأ أكثر وأكثر الكتب الدينية والسيرة النبوية المعطرة، وكان كتاب الله نبراساً لها تنهل من نوره كلما استطاعت.

ابتعدت عن سماع الأغاني، التي تتأثر بها، وتتذكر معها عشقها وعاشقها ومعشوقها، وقررت يوماً أن تتخلص من كل الأغاني، التي تقتنيها، وتستبدلها بكلام الله المبارك وإذاعة القرآن الكريم، التي كانت تهتم بسماعها دائماً في الفترة الصباحية وقت ذهابها للعمل، ولكن زاد هذا الاهتمام بها كلما سمحت لها الفرصة، اختلف مظهرها حتى إنها أصابت من حولها بدهشة، فاهتمت بالملابس المحتشمة، والحديث أكثر مع علي، الذي كان يمدها بالعون وبالمعلومات، التي تسعى إليها في سرور، فكان يراها دائماً من ذوات الفطرة السليمة، وما حدث من تغير مجرد كبوة يمر بها أي إنسان، وتمنى من الله عودتها السريعة إلى باب الله، فكان مشفقاً عليها.

بدأت نظرات الأخرين لها تختلف بين مستهزئ ومشجع، فأتخذت قرارها بالانتقال من وزارة الثقافة إلى مكان أخر، وبعد السؤال والمشاورات كتبت طلب نقل إلى قصر ثقافة مصر الجديدة القريب من منزلها؛ لتبدأ حياة جديده وسط أشخاص لا يعلموا عنها شيئاً، فيتقبلوها بوضعها الجديد. أصبحت على قناعة تامة بإنهاء علاقتها بماجد، الذي حاول الاتصال بها مراراً حتى يأس من أن تجيبه، أصبحت مثل

ماء النيل الصافية، والقمر في بعادهما جمال، ولقاءهما دمار.

أخبرت والديها بقرار الانتقال من العمل، ورحبا بالفكرة، فكان المكان لا يبعد عن منزلهما أكثر من دقائق بالسيارة، ونبهتها والدتها لوجود صديقتها مدام (سناء المقدم) بنفس المكان، ولكنها لا تتذكر بأي إدارة، فقد كانت سناء ووالدة آسيا جيران قبل الزواج، وعلى صلة جيده ببعض فترة الطفولة والشباب وأيام الجامعة، لكن لم يلتحقا بنفس الكلية، فالتحقت سناء بكلية الآداب، بينما التحقت والدة آسيا بكلية الحقوق.

لكنهما لم يفترقا إلا بعد الزواج، وبالرغم من زواجهما في نفس المنطقة إلا إن إنشغال كلا منهما بشئون بيتها باعد المسافات بينهما، فاقتصرت على المكالمات الهاتفية في المناسبات المختلفة، واللقاءت المصادفة في المحال التجارية، التي اعتادا الذهاب إليها.

استقبلت سناء آسيا بالترحاب في اليوم الأول لها، بعدما أخبرتها صديقتها بذلك عن طريق محادثة هاتفية طويلة، استرسلت فيها الأم عن ابنتها، وما أصابها بعد وفاة زوجها.

فأصبحت سناء تعرف الكثير عن آسيا، ربما ما تجهله هي عن نفسها، وكانت طبيعة عملها الجديد تختلف عن السابق، فكان العمل الجديد في الثقافة الجماهيرية، التي تهتم بتنظيم الندوات الثقافية، ولقاءات مع المثقفين، والكتّاب مع الشباب، وشعرت (آسيا) بأن ذلك العمل سيجعلها تختلط أكثر بمجال الثقافة والقرأة، وتقابل كتّاب ومثقفين، وربما تجد إجابات لأسئلة كثيرة تدور بداخلها منذ كانت صغيرة.

عندما تم توزيع آسيا في قصر الثقافة، طلبت سناء أن تكون آسيا في إدارتها؛ لتهتم بها كما كانت تهتم بها وهي طفلة عندما كانت تلتقي بها مع والدتها، فكانت تشعر دائماً إنها طفلة نبيلة الأخلاق تحمل ملامح الطيبه. أصبحت علاقة سناء وآسيا أشبه بعلاقة أم وابنتها تكونت حيث شعرت آسيا باحساس الأم، الذي طالما افتقدته رغم وجود والدتها معها منذ نعومة أظافرها، وأعجبت سناء بمظهر آسيا الجديد، الذى يدل على الالتزام وكذلك باطنها، فكان حديثها عذب يجذب من حولها، ولا يخلو من آيات القرآن أو حديث شريف تدعم به رأيها في حوار ما.

صممت آسيا على توصيل سناء اليوم بعد ما شعرت ببعض الهبوط، وبرغم رفض سناء إلا إنها غادرت معها، وأوصلتها إلى منزلها، الذي لم تتذكره جيداً، فربما لم تذهب عندها إلا في أيام الطفولة في عدة زيارات قليلة بصحبة والدتها.

صعدت معها؛ حتى تطمئن عليها، وبعدما استقرت سناء في شقتها طلبت منها آسيا إخبارها بمكان المطبخ؛ حتى تعد لها محلول سكري؛ لرفع الضغط قليلاً.

فوجهتها سناء على استحياء، فأعدت لها كوباً من الليمون اللذيذ، سألتها آسيا عن أولادها، فكانت تلعب معهم وهي صغيرة، فكانوا جميعاً أعضاءً في نادي الغابة، وكانوا يتقابون معاً.

كان خالد يكبرها بعامين، ويحيى في مثل عمرها تقريباً، وإيمان الجميلة تصغرها بعدة أعوام.

سألت آسيا عن إيمان وأخبارها، فهي تعلم إنها تزوجت، وتسكن في محافظة أخرى، فأكدت لها سناء ذلك، وإنها تسكن بمدينة طنطا، وأنجبت طفلينِ متتاليينِ، فتمنت لها العون على حالها، بينما سافر يحيى للعمل بالخارج، ومقبل على الزواج بعد أن

أتم خطبته العام الماضي، وعند عودته سيتم الزواج بإذن الله.

وعند إطلاق اسم خالد وجدا المفتاح في باب الشقة، ودخل وسط ذهول آسيا وسناء، فقالت (سناء): نجيب سيرة القط، يجي وينط.

تضحك (آسيا) بملئ شدقيها، ويقبل عليهما (خالد)، وتعلو وجهه ابتسامة مملؤة بالدهشة والاستغراب، قامت (آسيا)، ولم تمد يدها للسلام عليه، ولكن حيته بإماءة من رأسها.

كان (خالد) له بشرة خمرية، وعيون بنية، وكان يتمتع منذ الطفولة بشعره الناعم الأسود، الذي يخفي جزءاً من وجهه، والذي أزال الدهر الجزء الأكبر منه، فأصبح ناحلاً إلى حد ما، وتذكرت آسيا أول ما رأته أيام الطفولة السعيدة، وكان بعض الناس يظنون أنهما أقارب، أو ربما أخوات لقرب الشبه بينهما في لون البشرة ونعومة الشعر، جاءتها هذه الصورة من الزمن البعيد، تحاول أن تتبين ملامحها، التي كادت أن تنساها من هول ما مرت به من أحداث، فظهر على وجهها ابتسامة من عمر الطفولة.

آسيا: تغيرت كثيراً يا خالد عن أيام زمان.

خالد: بعد أن تحسس رأسه الناحل، عندكِ حق، كيف أحوالك؟

آسيا: الحمد لله بخير.

ذكرها خالد بأيام الطفولة أيضاً، وكأن ألبوماً من الصور والأحداث هبط عليهم من الذاكرة، واقتحم حاضرهم، فأمضى الثلاثة الوقت مع الذكريات التي مرت بهم.

أنهت آسيا متعتها من الجَلْسَة، التي تود أن لم تنتهي، واستأذنت بعد أن وعدت

سناء بالسؤال عنها في فترة الإجازة، التي قامت بها؛ حتى تتحسن حالتها الصحية.

وصلت إلى المنزل، وأخبرت والدتها التي كانت تنتظرها في قلق؛ لتأخرها، وحكت لها ما حدث لمدام سناء، وعن مقابلتها لخالد، وتغير شكله عما سبق.

الأم: لا أدري، ما الذي يحدث لهذا الجيل؟

آسيا: ماذا تقصدين؟

الأم: أنتِ وخالد مرت عليكما مشاكل، ولم تسير بكما الحياة بشكل هادىء، بل عصفت بكل منكما.

آسيا : ما الذي حدث لخالد أيضاً؟

الأم: حدثت مشاكل كبيرة مع زوجته، وصلت إلى قاعات المحكمة، وكان في حالة يرثى لها.

آسيا: حقاً، شعرت بنظرات الحزن في عينيه، برغم محاولته إخفاءها بالضحك.

الأم :انتهى الأمر بالطلاق، وتركت له ولداً في عمر ثلاث سنوات تقريباً.

حزنت آسيا بما سمعت، ورغبت أن تعلم الأسباب التي أدت إلى ذلك.

آسيا: ربما كان خالد سيِّئ المعاملة مع زوجته؛ فأطاحت به في أروقة المحاكم.

الأم: أنتِ وخالد أخوات، وذو أخلاق حميدة، وتربيتم معاً على ذلك.

آسيا: الله وحده أعلم بما يدور خلف الأبواب المغلقة.

أنهت الأم حديثها، وذهبت إلى المطبخ، ولم تهتم آسيا كثيراً بأمر خالد، برغم

شعورها بالحزن لما أصابه.

لم تنسى وعدها لمدام سناء بالاتصال؛ للأطمئنان عليها من وقت لأخر، وكانت تشعر بترحاب شديد بمكالمتها، كما قامت أيضاً والدة آسيا بمكالمات طويلة مع سناء استعادت فيها ذكرياتها أيضاً من الطفولة إلى الشباب.

الفصل الثالث و العشرون

اتصلت سناء بآسيا؛ لتدعوها إلى تناول الغداء معها، رفضت آسيا في بادئ الأمر؛ مراعاةً لأحوالها الصحيه، فأخبرتها إنها بخير الحمد لله. وتود أن تجرب قدرتها على القيام بأعمال المطبخ، ووجودها سيشجعها على ذلك، وألحت في طلبها، وافقت آسيا، وأخبرت والدتها، فلم تمانع. وسألتها عن وجود خالد، فأخبرتها إنها لا تعلم، ولا تعتقد أنه سيكون موجوداً.

دخلت آسيا مع سناء المطبخ، فوجدتها أعدت طعاماً شهياً، ويبدو أنه لذيذ، وقامت آسيا بإعداد السلطة، بينما وضعت سناء الطعام في أطباق التقديم، وبعد لحظات كان خالد بينهما، فتفاجأت آسيا بوجوده لانشغالها بالحديث مع سناء، وكانت لتوها ستقدم على السؤال عن خالد، ويبدو أنه عاد من عمله مبكراً، ويبدو على وجهه علامات الإجهاد.

قدم التحيه إلى آسيا بابتسامة، ولم يمد يده للسلام، فقوة ملاحظته أوضحت له إنها لا تسلم باليد على الرجال، وقبّل جبين ويد والدته، وعلى مائدة الطعام استمر الحديث عن الذكريات القديمة، فالذكريات القريبة مليئة بالأحزان والآلام، التي يمنوا نسيانها، ويبحثوا في داخلهم عما يبهجهم.

انتقلوا إلى حجرة الجلوس، وقامت آسيا؛ لتعد الشاي، فيكفي ما بذلته سناء من مجهود في هذا اليوم، وأثناء تناول الشاي أعرب لها خالد عن حزنه؛ لوفاة زوجها عمر، وأنه كان يرغب في الحضور؛ لتقديم واجب العزاء بنفسه، لكن ظروفه حالت بينه وبين ذلك، حاولت آسيا إخفاء الحزن الذي ظهر على ملامح وجهها، وحاولت عدم الحديث في هذا الموضوع، وقامت سناء؛ لتحضر الحلوى، التي قدمتها لها آسيا

فور وصولها، مما أتاح الفرصة للحديث بين خالد وآسيا، فسألته عن ابنه.

خالد: مهاب عنده ثلاث سنوات.

آسيا: هل هو مع والدته؟

خالد: نعم، بعدما اتفقنا أن يكون معي طلبت أن يكون فى حضانتها على أن أراه كل فترة.

آسيا: من الطبيعي أن يكون مع والدته في مثل هذا العمر، إنه يحتاج إلى رعاية خاصة واعتناء، لا يستطيع أحد أن يقوم بذلك سوى أمه.

خالد: إنها اهملت معه منذ ولادته، لا داعي للتحدث عن ذلك.

دخلت سناء تحمل طبق الحلوى الشرقية، الذي يعشقه خالد، فصرخ لرؤيته كالطفل الصغير، مما أثار ضحك آسيا، فخطفت الطبق من يد سناء، وجرت به بعيداً بشكل طفولي تسترجع فيه شقاوة زمان.

آسيا: أنه طبقي المفضل، ولن أعطيكَ منه شيئاً.

قام خالد سريعاً؛ ليستعيده منها، وكأنه يستعيد سنوات ضاعت منه دون أن يشعر بها.

سناء "وهى تضحك": سأقسمه بينكما بالعدل يا أولاد.

فوضعا الاثنان الطبق أمامها، وكلا منهما ينظر للأخر في ترقب؛ خوفاً من أن يخطف مرة أخرى.

غادرت آسيا منزل سناء وهي فى سعادة قد نسيتها منذ زمن بعيد. عندما عادت

إلى المنزل، سألتها والدتها عن سناء وخالد، فحكت لها كالطفلة الصغيرة وفي صوتها انتعاش وإشراق غير مسبوق.

جاءت مكالمة لوالدة آسيا من صديقة الطفولة سناء، تحمل الكثير من المدح والإطراء في آسيا وأخلاقها، وإنها بالنسبة لها مثل إيمان ابنتها تماماً.

توقعت الأم ما سمعته من رغبة سناء في زواج آسيا من ابنها خالد. فرحبت الأم بهذا الطلب، فكم تمنت أن تتزوج آسيا مرة أخرى بعد أن كسر الزمن قلبها، وأصبحت تحمل لقب أرملة، وهي في ريعان الشباب.

حدثت زوجها بما دار مع سناء، فلم يعترض، فالرجل محترم، وفي مثل عمرآسيا تقريباً، ولكن وجود طفل ربما يعكر صفو حياتها، ووعد زوجته بأن يتحدث مع آسيا في هذا الموضوع، وتمنى أن توافق.

أسعد الخبر آسيا من داخلها، ولكنها حاولت إخفاء هذا الشعور عن والدها، وسألته عن أسباب طلاق خالد من زوجته، فلم يعلم والدها شيئاً عن هذا؛ ليجيبها، فطلبت منه مهلة من الوقت.

كان احساس آسيا بإنها لازالت مرغوباً فيها كأنثى أسعدها، بعد أن ظنت إنها ستحيا وحيدة في الحياة، برغم أنها وقت الصفاء والتجلي مع الله كانت تدعوه بأن يرزقها رجلاً نبيل الخلق ودود محب لها، حتى إنها أحياناً من شدة ما قرأت في السيرة وأحوال الصحابة أنهم كانوا يتمنون من الله كل ما يجول بخاطرهم، تسترسل مع الله في وصف الرجل الذى ترغب فيه، وتتمناه بالصفات والملامح، وكانت تبكي ندماً على خطيئتها، وتتمنى أن يغفر لها الله، ويعفو عنها.

وعندما ظهر خالد في الأفق، وطلب الزواج منها، شعرت أن الله يرسل لها

رسالة غفران وعفو، كما تعودت دائماً أن يرسل الله لها رسائل خفية، تشعر بها، وتستقبلها بقلبها الصافي.

ظلت تفكر في أمر خالد، وقد راودتها فكرة أنها طالما طلبت من الله أن تتزوج أرمل مثلها، ولديه أطفال؛ حتى تنعم بثواب رعاية وكفالة اليتيم، الذي تحدث عنه الرسول (صلى الله عليه وسلم)، وأثناء ذهابها للعمل أرسل لها الله برسالة جديد عبر أثير إذاعة القرآن الكريم، وكانوا يتحدثون عن عدة المطلقة وعدة الأرملة.

أوضح الشيخ المتحدث أن المطلقة تكون قد مرت بمشاكل عديدة، التي أدت إلى الطلاق، فلا يعلق بذهنها غير الذكريات السيئة، بينما التي توفى زوجها يكون لديها العديد من الذكريات الجميلة، التي تراود ذهنها من وقت لأخر، ولذلك أمد الله عدة الارملة؛ حتى تستعيد بناء حياتها من جديد، فكأن الله يرد على ما تمنت في أن تتزوج من أرمل، فقد تداهمه الذكريات السعيدة لزوجته، التي فرق بينهما الموت، ولا تمحوها زواجه بأخرى. ولكن زواجها من مطلق يفتح لها الباب لبداية جديدة؛ لتعوضه عن الأحداث المؤسفة التي مر بها.

استقبلت آسيا الرسالة، وشكرت الله عليها، وكانت إجازة سناء قد انتهت، وعادت إلى العمل، فقابلتها آسيا بالتهليل، وحمدت الله على سلامتها، لم يتحدث أيا منهما في موضوع خالد، وكانت آسيا تشعر بالخجل كلما نظرت إليها مدام سناء.

بعد مرور أسبوع عاد الأب؛ ليسأل آسيا عن ردها، فأخبرته في خجل بالموافقة المبدئية، فهي لا تعلم عن خالد إلا القليل.

الأب: تتم الخطوبة أولاً، ومن خلال هذه الفترة يتعرف كلا منكما على الأخر.

ولم تمانع آسيا، فالارتباط بشكل شرعي أفضل.

حضرت سناء وخالد وإيمان، التي جاءت من طنطا؛ لتفرح باقتران أخيها الأكبر وصديقتها وأختها، التي طالما جلست معها وهي صغيرة. كانت جَلْسَة عائلية بسيطة بحضور أقارب آسيا أيضاً، وتحدث الأب مع خالد منفردينِ عن تفاصيل الزواج، ولم يطلب منه الكثير، فآسيا لديها بعض الأجهزة الكهربائية، التي لا زالت بحالة جيدة، وسيقوم الأب بشراء أثاث إحدى الحجرتينِ حسبما يتفقوا، ويكمل خالد ما تسمح به ظروفه.

وذلك بعد أن شرح خالد له ظروف طلاقه، وأن زوجته السابقة كانت تهمل في شئون المنزل وكذلك ابنهما، وكانت تحمل العديد من الصفات السيئة، التي لا تتوافق مع أخلاقه، وعندما أخذ قرار الانفصال لم تسمح لها كرامتها بأن يأخذ هو هذا القرار؛ حتى لا تتحمل لقب مطلقة، وتتجنب نظرات الناس لها، ولكن مع إصراره لجأت لطريق المحكمة؛ للمطالبة بحقوقها، ولتجعله يندم على هذا القرار، ونظراً لوجود والدها بمنصب هام بالمحافظة دخل خالد في دوامة لا تنتهي إلا من شهور قليلة، حمد خالد الله على انتهاء هذه العلاقة، التي ستظل معلقة إلى الأبد؛ لوجود مهاب في حياتهما، أشفق والد آسيا عليه لما سمعه، وتمنى له أن تكون حياته سعيدة مع (آسيا).

الفصل الرابع والعشرون

بدأت السعادة من جديد تطرق بابها، بالرغم أن قلبها لم يقفز من بين ضلوعها، ولا ارتعشت يدها عند أول لقاء (بخالد)، ولكنها شعرت باحساس مختلف، بدأ بالارتياح والشعور بالأمان في اللقاء الأول، الذي تحول بعد الارتباط لشعور بالابتهاج والفرح.

كان لقاؤهما الأول بعد الخطوبة بعدة أيام مرت عليها في حيره تسأل نفسها: هل تشعر بالحب مرة أخرى أم أن كُتِبَ على قلبها لافتة ممنوع الاقتراب أو الحب؟، بعد ما مرت به في حياتها، وهل يصلح قلبها للحب حقاً؟.

اتصل بها (خالد) أثناء تواجدها بالعمل، وكان الرقم لا يحمل اسما، فردت بعد لحظات من التردد، جاء صوته من الجانب الأخر، واستيقنته على الفور.

_أنا (خالد)، أعلم أن رقمي ليس لديكِ.

آسيا: أكيد تعرفت على صوتكِ بسهولة.

خالد: الأذن الموسيقية تقوم بعملها،.ويبدو في صوته الانشراح والتفاؤل.

آسيا: حقاً، كيف حالكَ؟

خالد: حالي يرغب في رؤيتكِ، هل تسمحين لي؟

آسيا: أهلاً بكِ في المنزل في أي وقت.

خالد: بل أرغب في الخروج معكِ بعض الوقت.

آسيا: لا أعلم، هل سيوافق والدي ؟

خالد: أترغبين أن اتصل به؟

آسيا: ساستأذن منه، وعند الموافقة سأخبركَ.

خالد: في انتظار مكالمتكِ.

"عادت التساؤلات تشغل بالها من جديد": هل خالد يحبها حقاً؟

انتظر (خالد) اتصال (آسيا) بشغف وترقب أحست بها في صوته، وأعلنت له موافقة والدها على طلبه.

مر عليها في الميعاد المحدد، الذي انتظرته منذ عودتها من العمل، تحتار بين الملابس التي سترتديها، فأمضت وقتاً طويلاً في الاختيار حتى استقرت على فستان فضفاض من اللون الأبيض، تزينه بعض الوردات الصغيرة المطبوعة عليه من اللون البنفسجي واللون الوردي، فقد أصبحت جميع ملابسها فضفاضة، وارتدت غطاء رأس باللون الوردي يغطي الصدر.

وضعت بعض المساحيق الخفيفة على وجهها، واستخدمت إحدى العطور غالية الثمن، التي كانت تحتفظ بها، وفور وصول (خالد) وإعلانه انتظارهاغادرت المنزل، وقد وصل (هرمون السيروتينين) أعلى معدلاته عندها، فهو هرمون السعادة الناتج عن الثقة بالنفس.

وجدت (خالد) واقفاً بجوار سيارته البيضاء، يحمل باقة بديعة من الزهور. وقدمها لها، فانطلق هرمون (الاوكسيتوسين) الذي دعم السيروتنين. فأصبحت في قمة

السعادة، فشكرته وودت لو تقبّله، ولكنها اكتفت باحتضان باقة الورد، واتخذت مكانها في السيارة، ووضعت الباقة في المقعد الخلفي، ومع أغنية (أم كلثوم) "الحب كله" التي كان يدندن معها (خالد) أثناء القيادة، سألته (آسيا): إلى أين سنذهب؟

خالد: على بلد المحبوب، وضحك بصوت مرتفع ربما لأول مره معها.

آسيا: هل هذا سر؟

خالد: نعم، وغمز لها بطرف عينه.

مر وقتٌ قليلٌ حتى وجدت نفسها في مكان تراه لأول مرة، يبدو أنه مخصص للعشاق، دخلا بعد أن أعلن (خالد) عن اسمه، فيبدو أنه بالحجز المسبق، ولا يدخله إلا اثنين معاً (رجل وامرأة)، كما اتضح لها، فلا مكان للأشخاص غير المرتبطين، يأخذ شكل الكهف مع إضاءات خافتة وموسيقى ناعمة استقبلتهما من أول خطوة، وهناك نادلة تتوجه معهما؛ لتدلهما على الطاولة المحددة لهما موضوعاً عليها باقة من الزهور الطبيعية، والموجودة على كل الطاولات، مما يجعل المكان تفوح به عطر الزهور، أبهرها المكان حقاً.

كما كانت الجدران عبارة عن شلالات صخرية الملمس، تنحدر منها المياه بشكل تلقائي إلى مجرى بالأرض، تتحرك فيه المياه إلى مكان مجهول.

خالد: كل سنة وأنتِ طيبة.

آسيا: إنه ليس عيد ميلادي!

خالد: اليوم عيد الحب أو عيد العشاق، كما يطلقون عليه في الغرب.

آسيا: لم انتبه لذلك برغم الشوارع الممتلئة بالقلوب الحمراء، والزهور بإيدى الباعة الجائلين.

خالد: ساعتبره عيد لقاءنا الأول.

آسيا: كل سنة وأنتِ طيب، وقد انتابها بعض الخجل، وأحمرت وجنتاها كفتاة في السادسة عشر من عمرها.

لمس خالد يدها وكأنه يستأذن لدخول قلبها وحياتها، فلم تمانع، وشعرت أنه يحتضن قلبها بين كفيه، ولأول مره معه كان قلبها يخفق سريعاً، فاطمئنت أن قلبها لازال على قيد الحياة. لم يكن حديثهما عن الحب فحسب، بل أيضاً عن مواضيع مختلفة، ودت آسيا أن تسأله عن زوجته السابقة، ولكنها شعرت بالغباء؛ لتقحهم هذه السيرة في هذا المكان الرومانسي، فقررت أن تؤجل ذلك لوقت لاحق.

كان حب آسيا لخالد من نوع مختلف، حب ناضج يتناسب مع عمرها، الذي تخطى الثلاثين، وعمر تجاربها التي مرت بها، وشكرت الله على ما وهبها.

أصبح (خالد) يتصل بها صباح كل يوم فور استيقاظه من النوم؛ لتكون أول صوت يسمعه، ويبدأ به يومه، وتبادله هي مكالمة أخرى بعد وصولها العمل؛ لتطمئن على وصوله، ويحدثها ثالثاً بعد عودته من العمل في حديثٍ طويلٍ، يحكي كلا منهما عما دار في يومه، استمر هذا النظام اليومي فترة الخطوبة، وكان لقاؤهما الأسبوعية أغلبها في منزل آسيا، وكانت تستقبله كالعادة مرتديةً غطاء رأسها، رغم اعتراض والدتها على ذلك.

قررت اليوم أن تسأله عن زوجته السابقة.

_كيف تعرفت على زوجتكَ السابقة؟

_لا أحب الحديث في هذا الموضوع.

_وأنا فضولي لن يتنازل عن هذا، وكان في صوتها بعض الدلال.

_تعرفت عليها في مكتب والدها، الذي يعمل بالمحافظة، وكنت أنهي بعض الأوراق الخاصة بالشركة الهندسية، التي أعمل بها، وكانت علا بالمصادفة عند والدها، جذبنى مظهرها الأنيق، وتبادلنا بعض الأحاديث. وكانت تعمل في مجال الحسابات في أحد الشركات الاستثماريه.

بعد نهاية اللقاء تفاجأت باتصالها بي دون سابق إنذار، وأعلنت عن رغبتها في لقائي، في اللقاء كان مظهرها أكثر ابهاراً بالنسبة لي، وعرضت علي أن نكون صديقينِ، ولم أمانع بالتأكيد، ورغم وجود بعض الاختلاف في اهتماماتنا، ولكن الوضع تطور سريعاً، ووجدت نفسي أعرض عليها الارتباط، وأخبرت والدتي، ورحب والدها بشدة، حتى ظننت أنه المخطط الأول لهذا.

وبعد أن وصلنا لعش الزوجية أو قفص الزوجية انقلب حالها لامرأة أخرى لا أعرفها، أم كانت ترتدي قناعاً ثم خلعته.

بدأت حياتي تتبدل حتى إني اهملت عملي في بعض الأوقات، ووصلت إلى درجة من الاكتئاب، وخاصة بعد أن أنجبت مهاب، الذي رأفت بحاله وسط تلك المشاكل، التي تفتعلها ولا تنتهى.

لم تستطيع آسيا أن ترد، فقد صدمها ما سمعت، ورقَ قلبها لحاله. فأمسكت بكفه في حنان، تواسيه على ما مر به من أحزان، انقطعت الإشارات المتبادلة بينهما عند وصول والدها، الذي جلس مع خالد، وقامت آسيا؛ لتعد مشروباً، وطلب والدها إنهاء ترتيبات الزواج، فقد مر ستة أشهر على الخطوبة، وهو وقت كافي ليتعارف

كلا منهما على الأخر.

رحب خالد بكلام والد آسيا، ووعده بإتمام كل شيء في أقرب وقت. ومع قدوم آسيا اقترح الأب موعد الزفاف، ووافقت آسيا، ولم تستطيع الأم هذه المرة إملاء رغبتها على خالد في إقامة حفل فاخر لدعوة الأهل والأصدقاء.

اقترح الأب أن يتم كتب الكتاب بالمنزل في احتفال بسيط، ووافق الجميع على ذلك.

الفصل الخامس والعشرون

رغم انشغال آسيا بارتباطها بخالد، لم تغفل عن الاتصال بصديقتها المقربة إسراء، بل كانت تتواصل معها من حين لأخر، ويتقابلا لشراء بعض الاحتياجات الخاصة بتجهيزات الزواج، واكتشفت يوماً عندما كانت تعرض عليها صور خطوبتها مع خالد في وجود هشام أنه كان صديقاً لخالد يوماً ما، فسعدت إسراء بذلك، وسعدت بهشام الذي ارتد لثوابه، بعد أن صدته آسيا عن محاولاته المراهقة معها في إنشاء علاقة بينهما، كما صرحت إسراء لصديقتها أن هشام يحترمها، ويلقي في أدبها وأخلاقها قصائد شعر، فحمدت الله في سرها على ثبات موقفها نحوه.

شعرت آسيا بالأمان العاطفي مع خالد، ولكنها مع اقتراب موعد الزفاف أرادت أن تستوضح مشاعره الحقيقة تجاهها، وتقيس نبض قلبه المتدفق بالحياة؛ خوفاً من اكتشاف إن خالد ارتبط بها لمجرد الزواج التقليدي، الذي لم تجربه آسيا من قبل، ولكنها سمعت كثيراً عن تجارب الزواج التقليدية الخالية من المشاعر والاحاسيس.

بدأت آسيا الاهتمام بشعرها، وبشرتها في الفترة السابقة للزفاف، ومتابعة مراكز التجميل، فأصبح شعرها أكثر حيوية وكثافة، وكذلك بشرتها أصبحت أكثر نضارةً وإشراقاً.

اليوم موعد لقائها مع خالد، سيحضر إلى المنزل، ويجلس معها، فكان استعدادها لهذا القاء مختلفاً عما سبق، قامت بتصفيف شعرها جيداً. واستخدمت بعض المساحيق الخفيفة على وجهها، ولم تنسى عطرها الحالم، الذي تعطرت به فى أول لقائهما.

وقررت استقبال خالد اليوم بدون غطاء الرأس؛ لتستشعر مدى تأثره بها. وخاصة عندما علمت من طنط سناء أنه حاول الاتصال بابنه مهاب أمس، فرفضت والدته أن يتواصل معه، أو يسمع صوته، فشعر بالحزن والأسى، فربما تحاول آسيا تعديل حالته النفسية.

لم تعترض الأم على ما فعلته آسيا، بل شجعتها على ذلك، وتعجبت؛ لتغير حالها، واستقبلت آسيا خالد عند باب الشقة، وعندما وقع بصره عليها تلعثم في الكلام والسلام عليها وعلى والدتها، وبعدها دخل معها إلى غرفة الجلوس، فكانت نظراته تبوح بالكثير، ربما أكثر مما توقعته، فأثار بداخلها الأنثى الكامنة المختبئة، فلمس يدها بهدوء وحنان، ولم يتحدثا معاً، وربما كان الصمت أبلغ من الحديث حينها، وشعرت آسيا بشدة رغبته فيها، وبادلته نفس الشعور، وبعد مرور بعض اللحظات استجمع خالد حروف كلماته؛ ليعبر عن مدى إعجابه بها وبجمالها، الذي حدثه به قلبه، فاليوم كان لقاؤهما مختلفاً، حتى أنه عند توديعها قبّلها من وجنتيها، واستنشق عبيرعطرها الفواح ،الذي أسره؛ ليكون مصاحباً له، ومؤنساً لوحدته حتى اللقاء القادم .

ألقى التحيه على والد ووالدة آسيا الجالسين بالصالة يتابعان التليفزيون.

شعرت آسيا بعد هذا اللقاء إنها متيمةٌ بهـا، وزادت ثقتها بنفسها، كما أحست إنها أشعلت الرغبة الساكنة عند خالد، وضحكت بصوتٍ عالي بعدما تخيلت ما يمكن أن يحدث له بعد هذا اللقاء، استمرت المحادثات الهاتفية التي أصبحت أكثر حرارة، والتي امتلأت بكلمات الحب والود.

كانت شقة خالد التي تزوج فيها سابقاً موجودة بمنطقة التجمع الخامس ضمن شقق الشباب، الذي استلمها من وزارة التعمير والإسكان، ولم يكن هناك اعتراض

من آسيا أو أسرتها على الإقامه فيها.

لكن الاعتراض جاء من سناء؛ خوفاً من أن تفتعل زوجته الأولى مشكلة. وتطالب بالشقة؛ لإنها حاضنة؛ رداً على قرار زواجه، ولم ترغب سناء في تعرض آسيا أو خالد لمثل هذا الموقف، كما إنها تتمنى أن يسكنا بجوارها أو بنفس الشقة معها، فهي وآسيا على وفاق، وتعتبرها كابنتها. ولكنها تخشى أن تتعدى على حريتهما.

فتوصلت بعد التشاور مع خالد وآسيا أن يتم تأجير شقة التجمع، وبنفس القيمة يستأجرا شقة قريبة من سناء، وبهذا تكون آسيا قريبة من عملها ومن والدتها أيضاً، وافق الجميع على هذا الرأي، وتم ذلك في غضون أيام، وتم نقل الأثاث إلى الشقة الجديدة وتنظيم كل شيء.

في يوم الزفاف بدأت آسيا تعد نفسها، وقد بدأت منذ عدة أيام في الذهاب إلى مركز التجميل، والقيام ببعض البرامج الخاصة بالعروسة، وكان خالد يلح عليها؛ ليعرف ما تقوم بها في هذه الزيارات، ولكنها لم تبوح له بأسرارها، وتصر على إنها مفاجأة سيعرفها يوم الفرح.

اشتد شغف خالد بها في الأيام الأخيرة، حتى أنه في اللقاءات القليلة التي سبقت الزفاف كاد يلتهمها بعينيه، لدرجة أنه اتصل بها يوماً في موعد مختلف لاتصالاتهما؛ ليخبرها أنه كان يحلم بها اليوم، وذهلت آسيا؛ لإنها أيضاً كانت تحلم به في نفس الوقت، وأنهما كانا في علاقة حميمية، فاتحدت في لحظة أحلامهما ورغباتهما.

وصل خالد إلى منزل أسرة آسيا، وحضر معه يحيى أخيه العائد من السفر في إجازة، وكانت معه خطيبته، التي تعرفت على آسيا للمرة الأولى، حيث كان لقاؤهما صعباً؛ لإنها تسكن خارج القاهرة، وكذلك حضرت إيمان وزوجها وأولادها، وتم عقد

القران في حفل بهيج، وقدمت فيه والدة آسيا الحلوى والمأكولات الخفيفة.

غادر الجميع منزل الأسرة مع دعوات كل الموجودين بحياة سعيدة هانئة. ورغبت آسيا في الذهاب إلى الاستديو؛ لتوثيق تلك اللحظة السعيدة بصوره رسمية تجمعها بخالد برغم عدم ارتدائها ثوب أبيض، ولكنها صنعت ثوباً من اللون الفضي، وارتدى خالد بدلة رمادية اللون؛ لتتناسب مع لون ثوب آسيا، فأصبحت الصورة أكثر انسجاماً.

وصلا إلى المنزل والخجل يبدو على وجه آسيا وكإنها المرة الأولى، وقد قررت أن تبدأ مع خالد حياة جديدة متناسية كل تجاربها السابقة، وبالرغم من إخفاقها أحياناً عندما تناديه تذكره باسم عمر، ولكن خالد لم يشعرها بهذا الخطأ غير المقصود، ولم تظن أنه لم يسمعها؛ لأنه شديد التركيز.

كان اليوم الأول لهما معاً يفيض بالرغبة الجامحة من الحب والهيام، فظلا حتى الساعات الأولى من الصباح فى حالة عشق، وخاصة عندما تعاملت آسيا مع خالد على إنها عذراء، تخجل لمغازلته لها، وتهرب عند اقترابه منها؛ فيزيد شغفه بها، وشعر كلا منهما أنهما فى بداية حياتهما.

ولكن بعد أيام قليلة استخدمت آسيا خبراتها السابقة في إسعاد خالد. كانا يتبادلان العشق والحب، ولايقطع ذلك سوى اتصالات الأسرتين؛ للاطمئنان عليهما أو بعض الزيارات القليلة.

بدأت آسيا حياة جديدة لم تتخيل إنها ستعيشها، وفاض ما بداخلها من الحب تجاه خالد، حتى إنها كانت لا تخجل من تقبّيله في أي مكان في الشارع في المطعم، عندما يدعوها للغداء، وكان يتقابلا بعد انتهاء العمل.

بدأت تغير شكل ملابسها قليلاً بعدما لمح لها خالد بذلك، وكان يهاديها بملابس مختلفة عما اعتادت عليه مؤخراً.

بعد شهور قليلة شعرت آسيا ببعض الألم، واستشارت سناء في الأمر. فأخبرتها أنه ربما يكون حملاً، وأخذتها إلى الطبيبة، حيث أكدت لها الأمر.

أعلنت الخبر لخالد، الذي فرح جداً؛ لأنه سيرى ثمرة حبه لآسيا، وكذلك فرح أهل آسيا، فطالما اشتاقا؛ لوجود حفيد لهما.

اقترحت سناء أن تقيم معها آسيا؛ حتى ترعاها فترة الحمل، ويكفيها ذهابها للعمل، ولم تمانع آسيا، ولكن خالد رفض، ودار بينهما حوار جانبي لم يطلع عليه أحد، فضكت آسيا، وقالت له أن ما يفكر به يجب أن يتوقف المرحلة القادمة؛ لظروف الحمل، فنظر إليها في شجن معرباً عن رغبته فيها كل لحظة.

نظرت له في استعطاف حتى يوافق على اقتراح والدته، فقبّلها قبّلة طويلة. ربما لن يستطيع ذلك أمام والدته.

أنقضت أشهر الحمل بخير برغم حالة الأنيميا، التي أصابت آسيا، لكن اهتمام سناء بها ورعايتها لها جعلها تمر من هذه الأزمة بسلام.

حتى جاءها آلام الوضع، فصحبها خالد إلى المستشفى هو ووالدته، التي بقيت معها حتى سطعت شمس حياتهم جميعاً بوصول زها، الذي أضاف إلى رصيد حبهما حباً جديداً، فأسعد وجودها الجميع، وفرح بها خالد، وتمنى أن تصبح مهندسة مثله، ولذلك اختار لها اسم (زها)؛ تيمناً بالمهندسة العربية العالمية (زها حديد).

تحمل خالد المسؤلية مع زوجته، التي قامت بعمل إجازة بدون مرتب من عملها؛

لتتمكن من رعاية طفلتها الجميلة، التي تحمل جيناتها الوراثية مع جينات خالد، فلهما نفس لون البشرة، والشعر الناعم، والعيون البنية، والابتسامة التي تخلب العقل.

عند إتمام العام الأول على ولادة (زها) شعرت آسيا بإنها حامل للمرة الثانية، فزاد ذلك من فرحتها رغم التعب الذي سينتظرها، وفرح خالد بالخبر، وأحس أن الله يعوضه عما فعل به الزمن والأيام السابقة، ولم ينسى خالد ابنه مهاب، فكان يتصل به في أوقات مختلفة خاصةً بعد زواج علا والدة مهاب.

تدخلت سناء مع علا؛ لتضم الولد إلى حضانتها، فرفضت علا بشدة. ولم تحاول الذهاب إلى المحاكم، التي تأكدت إنها ستحكم للجدة سناء بضم الولد؛ لزواج الأم، ولكنها اتفقت معها أن تأخذ الولد في نهاية كل أسبوع؛ حتى يكون بين أخوته (زها) والطفل المنتظر، ولم تمانع علا هذه المرة بعد أن لمحت لها سناء إنها باستطاعتها أخذ الولد عن طريق المحكمة، ولكنها لن تفعل ذلك؛ حرصاً على الطفل الصغير.

وهكذا كلل الله حياة آسيا بالحب والسعادة والأطفال، فرزقها الله بعد (زها) بطفل جميل أطلق عليه اسم فارس،وأصبح مهاب يحضر إليهما كل أسبوع، وشعر بالانتماء إليهم، فكان يشعر بالمسؤلية تجاه أخوته الصغار، والاهتمام بشئونهم وسط نظرات الحب المرحبة به من آسيا وخالد.

وتمنى يبقى معهم دوماً، ولكن والده كان يخبره بحاجة والدته أيضاً له. وعندما يكبر ستكون له الحرية في أن يمضى وقتاً أطول معهم.

إنها رسائل الله التي يبثها لعباده، فمن أيقنها واستوعبها؛ سار على الدرب الصحيح، ونجا على الصراط، ومن أضاعها؛ ضل الطريق، وسقط فى الهاوية.

وما أدراك ما هي نار حامية!

"انتهت القصة ولكن رسائل الله لعباده لا تنتهي"

هبة محمد كامل